

منسق: إلى اليمين، علامات
الجدولة: ٢,٥٦ سم، يمين + ٦
سم، متوسط

منسق: إلى اليمين

تنوع أشكالها وعلاقتها

N.E. Collinge

ن. ي. كولنج

١. مقدمة

اللغة تتطور. أما تطورها مع الإنسان، في جوانبها السلوكية و العقلية والفيزيولوجية، فتلك قصة لم تزل تنتظر من يحكيها كاملة ؛ ولن نسردها هنا. ولكن مجرد أن وطدت اللغة نفسها كوسيلة التواصل أو التفاعل المميزة بين الأجناس - وحتى في أقدم أشكالها المعروفة فقد حققت غنى مدهشاً في الأنظمة وشفافية في الوظيفة التواصلية - ومن ثم بدأ كل شكلٍ من أشكالها ينشطر إلى نسخ مختلفة وبدأت أشكال عناصره تتغير حتى بين المستخدمين المنحدرين من أصل واحد. إن الدراسة المعروفة بـ "اللغويات المقارنة - التاريخية" (أو عناوين أخرى مشابهة وفق مدرسة الباحث ولغته) تحاول أن تتبع تلك الانقسامات وتفصل تلك التغيرات. ومن المهم أيضاً، أن تحاول أيضاً تأسيس أيّ صفٍ من صفوف الصيغ، وفي أي وقت، شكل المادة التي انبثقت عنها الانقسامات وتحركت منها التغيرات. سنحاول فيما سيأتي مناقشة المقارنة التاريخية ضمن تاريخها الخاص بها، وأساليبها، وديناميكيتها وجوانب الجدل والتراع فيها.

٢. الحاجة الملحة للمقارنة وتحري الماضي

تتمثل سمة ملازمة لا مفرّ منها في الحياة في إدراك المرء أن لغته تتغير تغيراً عنيداً وتصبح قديمة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن العودة للأدب تعرفنا مباشرة بأشكال أقدم من اللغة، غريبة للغاية مثل لغة تشوسر Chaucer (في الإنجليزية)، أو عادية بشكلٍ معقول مثل لغة ترولوب Trollope. وبمجرد أن يحصل التعارف، يتطور الاهتمام في الأشكال القديمة والمعاني؛ أما بالنسبة للبعض فإن "اللغويات" لا تعني أكثر من علم أصول الكلمات فقط. ويتمتع ذلك المهاجس الفاتن

بالسمة التالية على الأقل: إن علم أصول الكلمات هو الجانب الوحيد في دراسة اللغة الذي يكون دائماً تاريخياً دون أدنى شك. وأكثر من ذلك، يمكن للرجوع للماضي ومعرفة ما كانت عليه الأشياء أن يجعل وصف الاستخدام الحالي وشرح الأمور المتعلقة باللغة وحتى الدفاع عن تقاليد التهجئة أكثر وضوحاً وقبولاً. ولذلك فمن المفيد للغاية أن نعرف أن كلمة king في the king was brought juice أُحضر شراب للملك كانت تُعلم عادة بحالة المفعولية غير المباشرة، أو أن الصوت المسموع "t" في fault أو أن "b" التي لا تنطق في doubt كانتا قطعاً في كلمات لاتينية تمثل الأصل البعيد للكلمات الإنجليزية، رغم التاريخ المعقد من الفقدان والاستبدال. إلا أن مواقف متطرفة قد أُخذت أحياناً. وبالنسبة للغويين القدامى (ولنقل، في الألف الأولى قبل الميلاد) كان البعد التاريخي مجرد واحد من عدة أبعاد؛ وغالباً ما كانت تمارسه عبقرية اللغوي الهلوي أكثر من الباحث المترجم الذي كان يمثل وصف اللغة والنظرية الوظيفية الشيء الأهم دائماً بالنسبة له. وهكذا كانت العادة في الماضي، وهي كذلك اليوم. ولكن في الزمن الحديث نسبياً، وفي فترة تتجاوز القرن بقليل، سيطر نمط غريب من الفكر، اعتبر الجانب "التاريخي" الموضوع المحترم الوحيد (لأنه "العلمي" الوحيد) يستقطب الاهتمامات العلمية. وبالتأكيد كانت النتيجة كما هائلاً من الاكتشافات العلمية حقاً، والمدعومة بالدليل. لقد بُرهن وبدون أي اعتراض أو تدمير أن لغة معينة هي اللغة "الحفيدة" للغة أخرى، وأظهر بقوة أيضاً أن صوتاً معيناً في سياق معين قد تطور ليصبح صوتاً آخر مع مرور الزمان واتساع المكان؛ أما جداول القواعد الرسمية فقد أُشتقت، بدون شك من نسخ سابقة - وكان حجم كل ذلك العمل ضخماً للغاية. إلا أن شبكة العنكبوت لم ترسم برمتها مفصلة دائماً، كما سيظهر؛ فنادر ما اتفق العلماء على العلاقات بين العائلات اللغوية لفترة طويلة. ولكن في هذا الجانب، فإن أساس نجاح الفرضية لم يكن وفق الأرضية الذاتية لتحقيق الرضاء الفكري أو الانسجام مع متن اللغة ولكن وفق قوتها في إعادة هيكلة أو صياغة ذلك المتن وإعادة تنظيم المادة البحثية بشكل إيجابي. وتفعل ذلك من خلال براهين محسوبة أو مدروسة (التي تجد أحياناً تأكيداً لاحقاً من براهين موثقة)؛ ولكن بالطبع، لا يتوقع كل المؤرخين الحصول على الجواب نفسه في الوقت ذاته. وهكذا نجد أنه ما بين ١٩٢٠ و ١٩٥٥ تقريباً أصبح الموقف المتبلور من اللغويات التاريخية موقفاً متعالياً وفوقياً وتحول إلى هوية قد بطلت ولم يعد لها أهمية تذكر بما حولها. إلا أن ذلك

الموقف تغير ثانية وأتت قيمة الدراسات التاريخية المقارنة الآن من اعتبارها مفتاح ضبط، على الأقل، على النظريات التأملية حول كيفية عمل اللغات ؛ وهكذا فقد استعادت هيبتها المحترمة الموروثة ثانية .

الاهتمام بالتاريخ لا يعني بالضرورة الاهتمام بالمقارنة : فالبعض يركز على تاريخ لغة بمفردها. والعكس صحيح أيضاً، ومن الشائع أن نقارن بين عدة لغات في عدة جوانب (على سبيل المثال، الجردّ الفونولوجي وترتيبه، والبنى الصرفية ، ووسائل البنى التركيبية، وترتيب العناصر في الجمل) لكي نظهر الجوانب التي تشبه فيها لغة ما اللغات الأخرى جميعها (لتأسيس عالميات لغوية) أو تشبه بعضها الآخر (لوضعها في تصنيف معين)، أو لنظهر أنها لا تشبه أي لغة في تلك الجوانب (لتبرير أن هويتها هي مجرد مصطلح). يقوم التصنيف بوظيفة التغذية الإرجاعية في "المقارنة - التاريخية"، كما سنلاحظ فيما بعد (القسم ٢,٧). إلا أن هدف المقارنة التاريخية هو إظهار أن اللغات المختلفة متصلة وراثياً، وإظهار درجة الصلة ، وتمثل "المقارنة" ، هنا مصطلحاً فنياً سنصفه بعد قليل. (هناك ما يوازيه في علم التشريح والفيزيولوجيا فقط. وفي الأمكنة التي تستخدم فيه أنظمة المعرفة الأخرى مصطلح "مقارن" ، يستخدم اللغويون عادة مصطلح "تقابلي"). ويتشابه تاريخ لغة بمفردها مع تاريخ العائلة اللغوية، وسنفصل تفاعلهما فيما سيأتي (القسم ٣.٣ و ٤.٣) .

وتؤكد التاريخية الجديدة التطور "المتسق الشكل" (راجع القسم 3) ؛ وتسمح لصياغتها قواعدها الخاصة بأن تشبه "النقلات أو التحولات" فيها قوانين القواعد التوليدية بسهولة. إلا أن اهتمامها الآن منصب بشكل كبير على "التطور التاريخي" -كشفت القصة الغامضة - للقواعد و على أسباب التغير الاجتماعية أو الديموغرافية التي سنشير إليها في الأقسام ٦ و ٧ .

٣. تاريخ المقارنة التاريخية

يعود تاريخ الاهتمام في اللغة في أوروبا إلى القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل في الهند والإغريق. كان الإغريق متحمسين لدراسة تاريخ الكلمات وجذبهم أصل اشتقاق الكلمات الصحيحة (وكذلك غير الصحيحة). وانتقلوا إلى متابعة التحليل العملي (كما فعل الهنود دائماً)، وتراجعت دراسة تاريخ أشكال الكلمات، وبقي الحال كذلك منذ ذلك الحين رغم بعض العمل الرائع الفذ في القرن السابع عشر (راجع الفصل 22، القسم ٣,٦,٢) حيث اعتُبر موضوعاً جانبياً يمكن أن يوضح أو يبرر فرضية في بعض الأحيان حول كيفية عمل جزء من نظام لغوي وكيف يتزايد في تعابير ومصطلحات مختلفة. إلا أن الحقبة بين ١٧٨٠ إلى ١٩٢٠ تقريباً كانت استثناءً غريباً. حيث أصبحت المعالجة التاريخية والمقارنة للغات وعائلاتها عنيفة في تقدمها وأجبرت الدراسات الوصفية والنظرية المتعلقة بها لأن تتخذ مواقع دفاعية.

٣-١. المحفزون (الدراسات المحفزة)

ومع حلول نهاية القرن الثامن عشر، أسست الأعوام الطويلة من اكتشاف لغات العالم قاعدة بحث غنية لإجراء المقارنة. وكان هناك أيضاً زخم فلسفي خلاق (يعود الفضل الأكبر فيه لليبنز Leibniz) لتأسيس تشابه عام ومحدد في السلوك والتفكير الإنساني، واعتبار اللغة موحية للفهم. وهكذا جُمعت دراسة أصول اللغة وعلاقتها في دراسة اللغة. وتعرض دراسة ضخمة (بعد مقالة عام 1781)، ظهرت بين عام 1806 و 1817 كتبها ج. س. ادلونج (1732-1806) J.C. Adelung كلمات مقارنة في مئات من اللغات (راجع الفصل 22 آنفاً)، وهكذا وسعت عمل المصنفين الأقدم وحفزت الاقتراح لتصوير "مصدر مشترك" من واقع "الجدور" (ولكن بعين ترنو إلى الجغرافية)؛ وهكذا مهدت الطريق وبتفاؤل حذر للدراسة التاريخية العظيمة في القرن التاسع عشر. ولقد أصبحت العلاقة دقيقة للغاية في بعض التجمعات اللغوية التي دُرست منذ القرن السادس عشر؛ وفي عام 1799، برهن س. جاراماثي S. Gyarmathi (١٧٥١-١٨٣٠) قواعدياً على الصلة العرقية التي اقترحها سانفوكس Sajnovics في 1770) - بين لغات فينيكية متنوعة والهنغارية على الرغم من درجة التعقيد الموجودة فيها كما سنرى في القسم الخامس لاحقاً. كان البحث التاريخي العام واكتشافات معينة في مجموعات اللغات على وشك احتلال

مركز الصدارة. وتمثلت آخر إضافة في الخطاب البرنامجي الذي غالباً ما يستشهد به للسير وليم جونز Sir William Jones (1746-1794) في عام 1786 الذي ألقاه في الجمعية الآسيوية التي أسسها في البنغال (راجع على سبيل المثال، روبرت 1979 Robins : ١٣٤ و ١٩٨٧ : ١-٢٣) واقترح هذا المحامي، وهو عالم هاوٍ من أصل هندي - فليبيني، أن اللغات السنسكريتية والإغريقية، واللاتينية، والجرمانية والكلتية قد شكلت الفروع الأساسية لعائلة لغوية، سماها توماس ينغ Thomas young الهندية - الأوروبية بعد سبعة وعشرين عاماً. إن كلاً من اللغات والفكرة الأساسية حولها كانتا مألوفتين مسبقاً؛ أما المستجدات فهي: (أ) تأكيد الصلة "العرقية" للغات متباعدة جغرافياً من خلال اللجوء إلى مصدر مفقود، و(ب) التأكيد على أن "جذور الأفعال وأشكال القواعد"، هي الأسس أو المعايير الحاسمة. وعلى مدى نصف قرن، كانت هناك مشادة عنيفة بين أولئك الذين تمسكوا بهذا المبدأ (رغم أنه مجرد أن يتجاوز المرء تسجيل عدد قليل من التصريفات والواحد البسيطة، تختلف اللغات المرشحة الأساسية للاتصال العرقي بشكل جذري، ولا تبقى سوى قلة قليلة من المقارنات الصحيحة مدعومة بتشابه مفصل بين التراكيب القواعدية، حتى على مستوى العبارة) وأولئك الذين ركزوا على الأصل الفونولوجي الواحد للأشكال أو الصيغ موضوع المقارنة. قدم هؤلاء عدة قوانين متقاربة الأصل حول التغير الصوتي (ولكنهم تجاهلوا الطبيعة الجزئية لنتائجهم والتبرير الصوري اللازم للمعادلة بين سياقات الأصوات). ويعتبر فرانز بوب Frans Bopp ورازموس راسك Rasmus Rask أبرز حاملي الراية لهذين التصورين على التوالي.

٣. ٢ المعززون

لم يتلاش التحليل الوظيفي والتصنيف وعلاقة العقل باللغة بوصفها مواضيع بحث؛ حيث زود مفكرو بدايات القرن التاسع عشر الجيش التاريخي الحديد بدخيرة لا تنضب. وتابع فيلهلم فون هبلودت Wilhelm Von Humboldt (1767-1835) منهجاً نصفه الأول فلسفي والآخر أنثربولوجي - إبداعي في صميمه - في دراسة اللغة؛ ومع ذلك، وإذا ما طرحنا الدراسة العرقية للأندوسية جانباً، فقد كان بين أولئك الذين تسألوا فيما إذا كانت الأشكال المختلفة من الوسم القواعدي (مثل أنماط العزل والإلصاق والتصريف) تمثل مراحل على ممر تطوري (

وخدم أيضاً الدراسة التاريخية عندما عيّن بوب في مركزه اللغوي في برلين). وأسس الأخوان أوغست فيلهلم August Wilhelm وفريدريك فون شيلجل Friedrich von Schlegel (1767-1845، 1772-1829) هذا التصنيف من القواعد ؛ وأكثر من ذلك، جعل اللغة السنسكريتية (المعروفة منذ 1586) والفكر الهندي معروفين في ألمانيا. وأشار إلى الصرف الواضح للسنسكريتية بوصفه عوناً في إجراء المقارنات ومؤكداً على أن مفهوم القواعد هو قلب اللغة الذي لا يتغير. وفي هذه الأثناء تقريباً، انبثق مفهوم "القواعد المقارن" كاسم لحقل الدراسة الجديد ؛ وأسهم كل من علم التشريح المقارن وعلم النبات الليني في بلورة هذا النموذج.

إلا أن التيار التجريبي بدأ يتدفق بقوة الآن. حيث أصدر فرانتز بوب ("بوب الواقعي" 1791-1867) في عام 1816 أول دراسة عن قواعد مقارنة للفعل في اللغات الهندية - الأوربية القديمة ؛ أما راسموس راسك (1787-1832) فقد أظهر، من خلال شروط الفوز الضرورية بجائزة لبحث رابح يبحث عن أصل معروف للغات الاسكندنافية، كيف يمكن إيجاد مصدر قبل - جرمانى وقبل لاتيني - يوناني من خلال التوفيق بين قطع صوتية متغيرة في مفردات معجمية أساسية. وصاغ جاكوب غريم Jakob Grimm (1785-1863) جوهر مكتشفات راسك الصوتية في نسخة منقحة في قواعده الخاصة بالجرمانية عام 1822 ؛ وبفعله هذا، عمل الكثير ليزاوج بين خطي البحث وليوظف بشكل أمثل الدراسة المعمقة للغة واحدة أو مجموعة مترابطة بشكل وثيق بهدف المقارنة النهائية بين الصيغ أو الكلمات في اللغات. وانضم العديد من العلماء العاملين إلى البحث، فاتحين بذلك ما سمي "عصر العمل المضني غير الملهم" ؛ ربما كان أوغست سكليشر August Schleicher (1821-1868) الأكثر تأثيراً وشهرة. لقد حاول صياغة أصوات وأشكال اللغة الأم للغات الهندية الأوروبية ببعض الدقة. لقد بدأ عُرف وسم المفردات المعادة التركيب بشكلٍ صرف بنجمة (لذا يمكن الآن للمستهزئين أن يهزوا رؤوسهم سخرياً من صيغه المنجمة خطأ). وصرح أن نقالات (تحولات) الصوت هي مفتاح التاريخ، وأنها تخضع لقوانين (في حين لم ير غريم سوى بعض التزعجات لذلك). وكانت اللغة بالنسبة له، كائناً حياً طبيعياً وتمثل دراستها علماً طبيعياً، إلى درجة التوافق مع الداروينية ؛ ومن هنا أتت التزعجة التي تقول

بالانحدار/التسلسل التَّسْبِي (راجع الفصل الثاني والعشرين، القسم 2.5.2 حول داروين واللغويين).

يمكن رؤية طريقة تهذيب الأساليب والنتائج التي زدنا بها، على سبيل المثال، بوت pott و شكوكاردت Schuchardt وكيرتيوس Curtius، واسكولي Ascoli ووتني whitney من خلال الرجوع إلى أيّ من المراجعات حول بحوث القرن التاسع عشر (على سبيل المثال، بيدرسن Pedersen ١٩٢٤-١٩٣١)، أو سيوك Seabok 1975، أوروبتر Robins 1979، أو باينز وبالمر Palmer & Pynon 1988 : الفصول ٩-١١). إلا أن القرن انتهى بنغمة مختلفة. حيث تحدثت مع بداية السبعينيات من القرن التاسع عشر، مجموعة من اللغويين الشباب، ذوي نزعة متطرفة، الإجراءات الصارمة القديمة بصفاقة متعمدة. وقبلوا تسميتهم باللقب غير اللطيف "النحاة الشباب" وادعوا أنهم يقطنون في "ضوء النهار الساطع" بعيداً عن "النظريات الرمادية" للعلماء الأقدم منهم. وتمثلت الشخصيات الأربع الرئيسة في هذه الحركة بـ: ك. برغمان K. Brugmann (١٨٤٩-١٩١٩)، وب دلبروك B. (1842-1922) Delbruck وأ. ليسكن A. leskien (1840-1916) و هـ. أوستوف H. (1847-1909) Osthoff ولم يمثلوا في الواقع كامل التفكير الجذري فعلاً في وقتهم (لاحظ عمل كل من شميدت Schmidt أو كوليتز Collitz) بل مثلوا حركة مدرسة ليزغ التي كانت على نقيض مدرسة برلين. إلا أنهم كانوا السبب في سلسلة من التطهيرات (من خلال وجهات النظر التي سنعرضها في القسم ٤,٤,١) في عمل غريم وآخرين، وسلسلة أخرى من الاكتشافات أدت إلى شروحات شاملة حول الحقائق التطورية للصوامت والصوائت الهندية الأوروبية (وعناصر وسيطة). وتضم قائمة المكتشفين ثومسين Thomsen وفيرنر Verner من الداغمارك، واسكولي من إيطاليا، وسوسير من سويسرا، بالإضافة لبروغمان نفسه - وبدرجات متفاوتة من قبول الإلهام الجديد. وبالإضافة إلى التطبيق الصارم لقوانين الصوت (راجع ما سيأتي)، فقد تضمن ذلك الأفكار القائلة بأن السنسكريتية أقل أهمية بوصفها مثالاً للتغير المضبوط من اللغات المعاصرة، وأن اللغة ليست كائناً حياً طبيعياً إلا بالمعنى الذي تعكس فيه علم النفس البشري، وأن التطور وقوانينه هو الموضوع الأساسي وليس التصنيف الوظيفي أو رسم هذه العائلة اللغوية

أو تلك. وأقل ما يمكن قوله هو أن هذه الحركة أجبرت اللغويين التاريخيين على إعادة النظر والتفكير بما كانوا يقومون به .

٣.٣ المتحكمون المتأخرون والمقيّمون للمنهج (الأسلوب)

في الواقع، إن اللغويات التاريخية المقارنة حرفة لا تعتمد على أية نظرية لكنها تعتمد على منهجٍ واعي ودقيق. وفي القرن العشرين، وعلى الرغم من الميل إلى اللا-تاريخية الذي تبعه الآن تسامح مفهوم بين لغويي كافة الضروب اللغوية، أعيد فحص المنهجية ورمزت أيضاً. ففي الستينيات من هذا القرن أدى التأثير السحري للطريقة الجديدة في تفسير البنى اللغوية والصيغ من خلال القواعد التي تمثلها مستخدمو اللغة بالعديد من العلماء إلى إعادة كتابة التاريخ بعدد المرات أو الحالات التي فقدت فيها مثل هذه القواعد أو تركت أو تم تعميمها في عقول مستخدمي اللغة الأصليين (قارن King 1969 على سبيل المثال). ورأى بعضهم أن الغموض الحتمي للمكانة الشفافة للقواعد وتشابكها سيؤدي إلى حالات من الغموض لا تطاق ولا يشفى منها المتكلمون إلا بإعادة تركيب جذري للغة تقريباً. ومن هنا تأتي مدرسة فكرية تربط بقوة التغير بنظرية (أو فرضيات القواعد) قواعدية ؛ وترى بشكلها الأكثر تطرفاً التغير مفاجئاً ومدمراً (وكذلك يراه لايت فوت Lightfoot 1979). ويبقى الآخرون مقتنعين أن الوظيفة هي محرك التغيير، أو أن إعادة تفسير الصيغ السطحية هي السبب، أو أن بعض مبادئ الكفاءة الأوسع تستلزم زيادة أو مضاعفة في التحويلات الأصغر (وجهة النظر الغائية). إلا أن هذه الاقتراحات لا تمثل في الواقع جزءاً من تاريخ المدرسة التاريخية المقارنة بقدر ما تمثل بحثاً عن أسباب تغير اللغة وموتها. راجع القسم السادس فيما سيأتي حول هذه النقطة.

٤. المنهجية

١,٤ العلاقة الأساسية

إن ربط اللغات بأصل عائلة واحدة عملية مختلفة تماماً عن ربطها مع بعضها بعضاً في إطار تصنيفي. فالمنهج الأخير يحمي جوانب التشابه في جوانب وظيفية متنوعة، وهو إجراء مشروع دائماً، لأنه يجب على أي لغة أن تشبه اللغات الأخرى في بعض النقاط إن كانت سترشح إلى مكانة اللغة الطبيعية في المقام الأول. قد يتطور التشابه التصنيفي، ولكنه مسألة تتعلق بالموازاة وليس بالتشعب (أو الالتقاء). تتداخل العلاقتان، ماعدا في حالات نادرة للغاية حيث لا يمكن افتراض أي اتصالات عرقية معقولة للغة المعنية: ولغة الباسك Basque مثال محتمل مثلها مثل، وعلى مستوى أصغر، اللغة البورشاسكية Burushaski (المستخدمة في مقاطعة كاركورام في الباكستان). وهناك بعض اللغات المنعزلة التي ما تزال تخضع لمحاولة متفائلة لوضعها في عائلات لغوية؛ وأكثر هذه اللغات معاناة في هذا الصدد ربما كانت اللغة الإترسكانية Etruscan.

قد تتباعد اللغات بمعنى أنها تنشطر باستمرار على نحو ما هو موجود في الأمييه وتنفصل الأجزاء بعيداً؛ أو أنها يمكن أن تلتقي لأن متكلميها يعيشون متجاورين وغالباً ما يتفاعلون سوية. ومن وقت لآخر، نسمع أصواتاً تنادي من أجل نظرية التقاء شاملة، ويقوم اتباع المنهج التباعدي بمهاجمة هذه الأصوات بعنف (كما وقف و.د. وتي E.D. Whitney ضد ماكس مولر Max Muller في ستينيات القرن التاسع عشر). إلا أن الالتقاء حقيقة من حقائق الحياة على نحو ما. وكانت التجارة أو التواصل المادي عاملاً هاماً في الالتقاء؛ أما وسائل الاتصال الحديثة، وبخاصة التلفزيون، فجعلته (الالتقاء) ظاهرة عالمية. وما تزال الهيمنة السياسية أو الثقافية توجهه. ويمكن للتأثير أن تكون كبيرة وهامة؛ حيث سمحت اللغة التنزانية المعروفة بـ مبيجو Mbugu، على سبيل المثال، للغات بانتو Bantu المحيطة بها أن تزود صرفها - وتراكيها القواعدية بأسماء وأفعال - تكون في العادة الأكثر خصوصية وتشكل ذلك الجزء من اللغة الذي لا يتغير. وغالباً ما يشوش هذا النوع الثاني من التطور على النوع الأول؛ حيث تحجب التأثيرات "المساحية/الإقليمية" الوراثة "العرقية" (والمصطلحات الفرنسية المقابلة affinite و parente مفيدة في هذا الخصوص). وفي الواقع، إن الصعوبات التي سببها هذا التداخل

للعويين دفعت بعضهم لاعتبار اللغات، المنحدرة عبر الوقت، متعددة ومنفصلة دائماً، ولكن تجمعها بعض الظروف المادية في تجمعات مؤقتة (مثل نظرية لوكر حول تصرف الذرات). وقد صاغ تربتسكوي عام 1939 وجهة نظر الالتقاء - المساحي بأوضح معالمها. ومع ذلك، فإن أمثلة زاخرة من لغات بنات/انحدرت من لغة أم لا يمكن إنكارها ابداً، منها لغات شمال (غرب) الهند - تعتمد على الهندية - الأرية - أو مجموعات اللغات الرومانسية - التي انحدرت من اللاتينية، وهذه أمثلة أتمودجية في هذا الخصوص. وهكذا، فإن فرضية الانتشار أو التباعد - العرقي لم تُقتل من جذورها، وما تزال الأتمودج الأقوى، ولكن ربما حان الوقت لتشذيبها وتأهيلها أكثر.

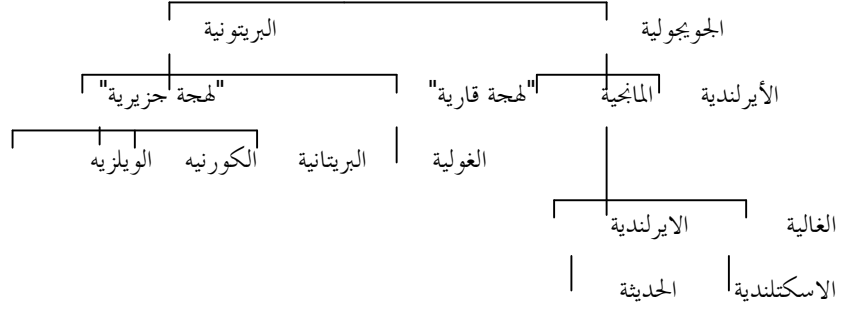
٢.٤ الأتمودج

تقترح العلاقات التكوينية أو الوراثة "شجرة عائلة". وما زال مفهوم شليشر Schleicher المرجع المعتاد لرسم أو جدولة ما يبدو، كملخص عام للدليل تراكمي، أنه علاقات تطورية متشابكة ضمن مجموعة من لغات يعتقد أنها تنحدر من أصل واحد. ومن السخافة بمكان أن نعترض على أن السلالات الإنسانية تظهر كيف أن كل طفل انحدر من أبوين أو أن عددهم كأشخاص يمكن أن يكون أقل في المناطق الأقل خصوبة من المناطق التي تتمتع بخصوبة أكبر؛ إن التناظر الحقيقي هو في انحدار الأجناس المتنوعة من أنواع وقبائل وطبقات أقل وأبسط. إن إتمودج الشجرة إتمودج مهزوز أو أخرق، ولكنه ما زال مفيداً ومقبولاً للغاية. ويمثل الشكل (42) مثلاً بسيطاً (زاوية من الحقل "الهندي الأوروبي"). وهناك مزيد من هذه الأشجار في القسم الخامس الآتي. تسمى هذه الاستعارة البيولوجية برمتها الآن "رتبة الشرايعات". وتجذب بحوثاً بين علوم مختلفة من طلبية النباتات، والمخطوطات واللغات. راجع الفصل الثامن عشر أيضاً أنفاً، القسم (٤.٤).

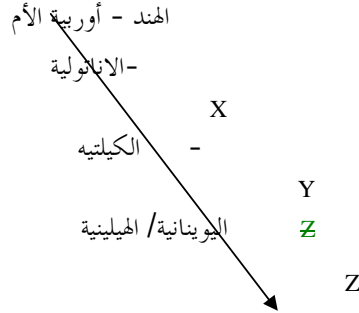
الشكل (42). دخلت اللغة البريتانية Breton لغات أوروبا المختلفة الأساسية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين .

اللغة الكلتية الأولى/الأم

|



شكل (43) الهندية - الأوروبية الأم .



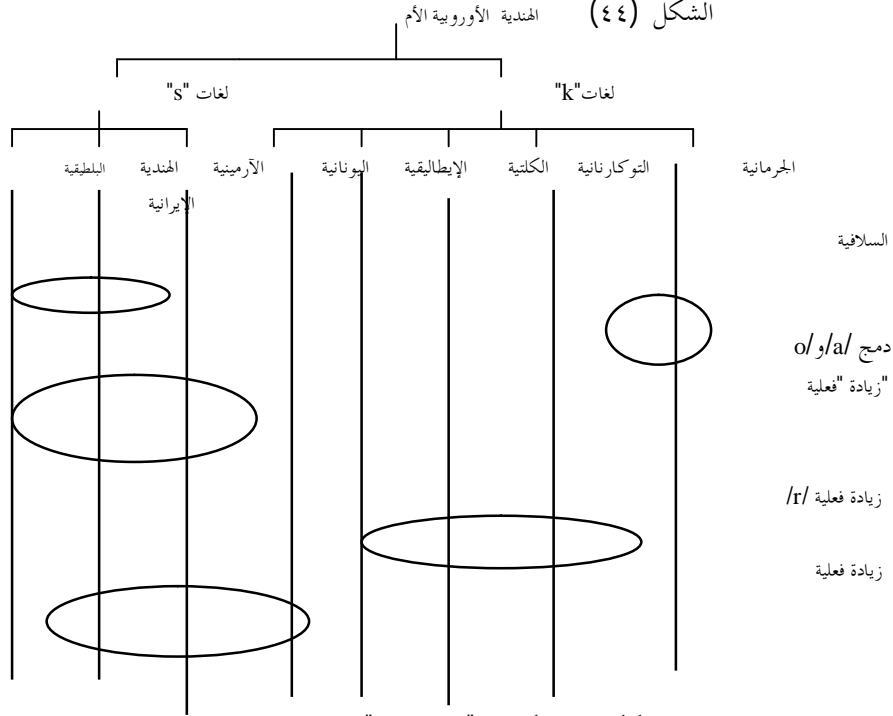
وتتمثل إحدى غرائب هذه الشجرات المقلوبة، حيث تُمثلُ الأغصان الدنيا أحدث أشكال اللغة، في أنه لو حاول المرء رسمها في هيئة مختلفة قليلاً، كما في الشكل (43)، فإنه سيشير إلى الرحيل المبكر للمجموعة الأناثولية عن أنماط اللغة "الهندية- الأوروبية" المتطورة، حيث تصبح بعدها هامشية ولم تعد دليلاً أساسياً، وتصبح تغيراتها، التي ليس لها ما يوازها الآن في اللغات الهندية-الأوروبية الأخرى، لا علاقة لها بالشجرة. إنها تتفرع قبل أن تعطي التفرعات الحاصلة في النقطة X كبنوة منقحة للتراث المستمر (ربما مثل ظهور جنس المؤنث، أو فقدانw..... بوصفها واسمةً لصيغة جمع الشخص الأول في الأفعال). ويقال أن الكيلتيه قد رحلت قبل وقوع الأحداث في النقطة y، وأن الهيولينية (التي مرت بكل من x و y) لم تعاني مما حدث عند النقطة Z بغض النظر عن ماهيته. وأكثر من ذلك، تحافظ مرحلة لاحقة من اللغات الهندية-الأوروبية (أو أي عائلة أخرى) على تتابع صحيح بدقة من خلال تغييرها

واختلافها عن اللغة الهندية - الأوروبية الأم (أو أي لغة أم)، ومن خلال القيام بذلك في تلك السمات فقط التي لا تختلف فيها اللغات الهامشية بشكل كبير عن الهندية الأوروبية الأم. وتلك مفارقة عجيبة. ويتمثل إرباك آخر في التالي: قد يبدو القرار بشأن أي من اللغات قد انفصلت وفي أي مرحلة (في هذه الشجرة المعقدة التي تضع قيوداً على مركزية العائلة) صحيحاً وفق مجموعة من الحقائق التشخيصية، وحاططاً وفق مجموعة أخرى. فعلى سبيل المثال: كان يسمح في مرحلة تاريخية أن يكون هناك تفرع أساسي (وأقل احتمالاً اليوم) بين تلك اللغات التي لديها صوت "K" في بداية الكلمة الدالة على "١٠٠" وتلك التي تمتلك صوتاً ما من الأصوات الصغرى. ولكن ما تزال بقايا من ذلك هنا وهناك في مجموعة "s" في صياغة الفعل (نوع من إزالة صفة التعدية) تنطوي على r؛ ومع ذلك، فإن هذه السمة موجودة تماماً في الإيطالية والكيلتيه والتوكانيه التي تقع جميعها في مجموعة "K". ومرة أخرى تمثل البلطيقية - السلافية والجرمانية مجموعتين أصبح فيهما الصوتان /a/ و /o/ متشابهين إلى حد ما. وهاتان المجموعتان تمثلان مجموعتي "S" و "K" على التوالي؛ ولكن إذا ما اعتمدت معالجة الصائت بوصفها أساساً للتفرع الأساسي، سيكون غياب صيغ الفعل في r في اللغات الجرمانية متعارضاً مع ظهورها المبعثر في البلطيقية - السلافية. واليونانية من مجموعة "K" ولكنها تظهر غياب السمتين الأساسيتين اللتين ذكرتا للتو؛ ولكن قامت في عصرها الكلاسيكي، بتنظيم أداة *e، التي تدل على الماضي في صيغ الأفعال المتصرفة، وجعلها بادئة لا غنى عنها. (e-leg-on كانوا يقولون). إلا أن ذلك لا يمثل سمة خاصة بالهيلينية فقط. فالشيء نفسه حدث في الهندية - الإيرانية والأرمينية، التي تقع جميعها ضمن مجموعة "s" من اللغات، ومع ذلك فلا توجد أي إشارة لهذا المعلم في أية لغة بلطيقية أو سلافية في تلك المجموعة أكثر من أي لغة أخرى من لغات "K"، وإذا ما تجاهلنا الأناطولية والألبانية فإننا نحصل على الصورة غير المرضية في الشكل (٤٤).

وسيودي اعتماد المزيد من العلامات الفارقة بين اللغات إلى مزيد من الصراع وإعادة الرسم الذي لا ينتهي في الشجرة. أما القرار بشأن درجات الأهمية بين العلامات الفارقة فهو اعتباطي: ولكن، إن لم يكن ناجحاً، فإنه يمكن أن ينتج عنه شيء غريب كغرابية سلالة إنسانية ضمت قضايا غريبة مبعثرة مثل أي من أفراد العائلة كان موهوباً أو معقوف الأنف أو يساري المذهب السياسي. إلا أن هناك مثيلات (يمكن مقارنتها بها) علمية. فالتألق الحيوي (للحبابات، وسراج

الليل وبعض مخلوقات البحر) موزع عشوائياً للغاية في عالم الحيوان ؛ ورغم ذلك، فإنه لا يمثل أداة أساسية في تأسيس الأجناس أو الطبقات.

الشكل (٤٤)

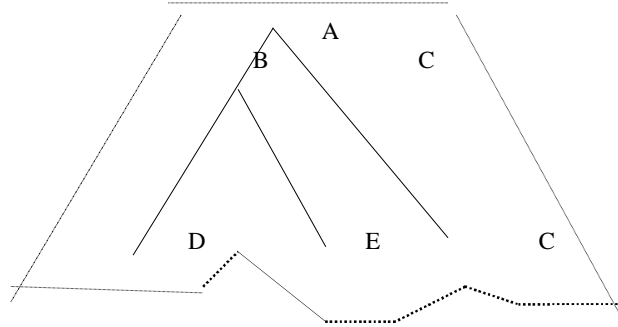


كما قدمت نماذج بديلة، وذلك أمر مفهوم. وأشهرها "نظرية الموجة"، التي عزز وجودها جوهانس شميدت عام ١٨٧٢، ولكن اقترحها هوجو شوشاردت Hugo Schuchardt قبل ذلك بأربع سنوات. ونجد هنا أن التركيز الأهم كان على انتشار السمات نفسها وليس على التفريع الناتج. والتشبيه المعروف هو سلسلة من موجات متحدة المركز تتحرك خارجياً من تأثير سقوط حجرة في بركة أو بحيرة صغيرة - وتلك فكرة معقولة عن التأثير المساحي الأكثر شيوعاً وقتها على اللغات الأقرب. ولكن في سياق عرقي دقيق (لم يفترضه تصور شميدت) سيكون هناك افتراض من اتصال اللغات مع بعضها بعضاً في الوقت المناسب. وحتى عندئذ، فإن على حيوط النسب أن تتقاطع وتتجمع ثانية بطريقة غاية في التعقيد. ويمكن للقياس أن يختلف أو يتنوع، وتُرى حيوط النسب بأنها حواف شاطيء بحري اندفعت منه الموجة ثم انحسرت، مخلقة بركاً صغيرة في عدد من الأماكن بطريقة عشوائية. إلا أن بعض المنحدرين لا يظهرون أي إشارة إلى أن مثل تلك الموجة قد لامستهم حتى عندما تكون هناك هجرات إنسانية معروفة سببت في إعادة تجميعهم. يمكن الجمع بين أنماط الشجرة

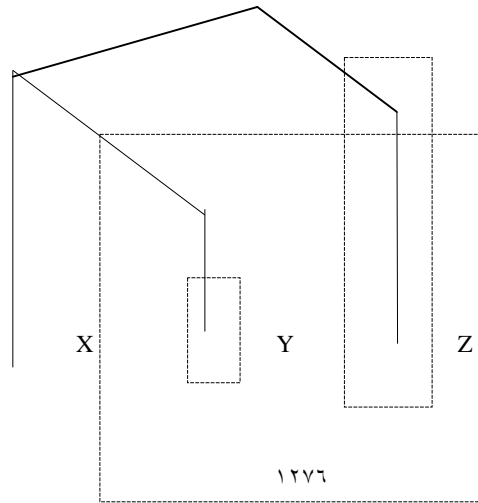
وأشكال الموجة، كما في عرض "الظرف" (الذي ابتكره ساوثورث Southworth في عام ١٩٦٤). وفي هذا العرض يمكن لتلك التغيرات اللاحقة، التي تقرب بين لغات انفصلت في مرحلة مبكرة (وتفترق بين لغات أخرى انفصلت مباشرة من "أم فرعية" في مرحلة متأخرة نسبياً) أن تظهر على هيئة أشلام إما أعمق أو أكثر اضمحلالاً في الظروف المغلقة.

وهكذا، فإن العرض في الرسم (45) يظهر أن "E" هي "أخت" لـ "D"، ولكنها قد اقتربت في شكل ملحوظ نحو ابنة عمها "C".

الشكل (45) (معدلاً عن ساوثورث 1964).



الشكل (46) (معدلاً عن ساوثورث 1964)



المرحلة الأولى

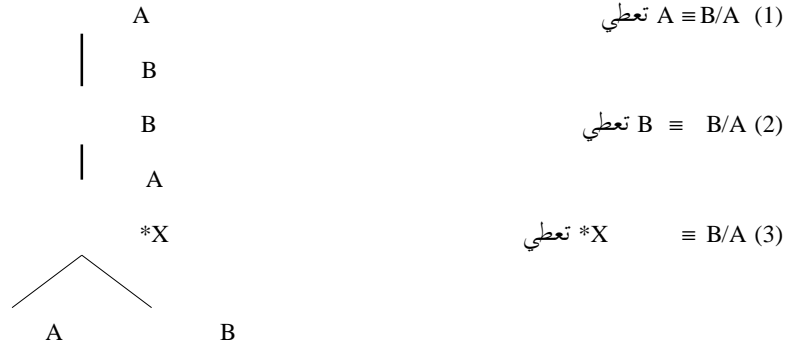
المرحلة الثانية

المرحلة

الثالثة

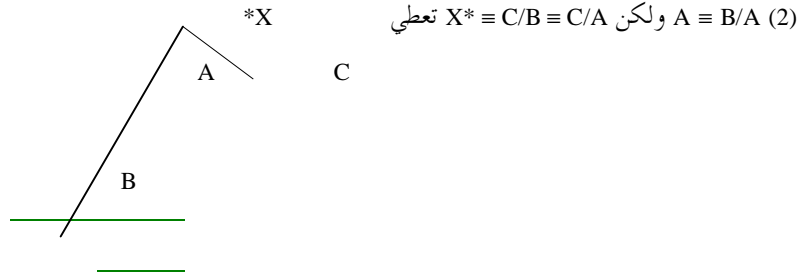
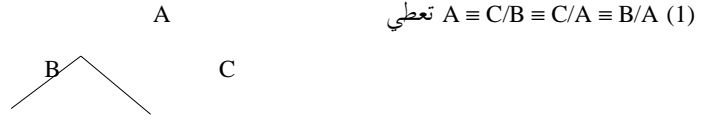
أو مرة أخرى، يمكن لفصول التغيير أن تظهر كما في الشكل (46)، حيث تتشاطر العلاقاتان البعديتان Y و Z (اللذان لا تتشاطران التغيير الهام، بغض النظر عن شكله، الذي يبرر الانقسام في المرحلة الأولى) المستجدة اللاحقة في المرحلتين الثانية والثالثة، في حين لا تقوم X بذلك.

إلا أن هذا الرسم الإيضاحي الأنيق قد هزمته تعقيدات الأحداث في عائلة كبيرة وكذلك عملية الترعات العالمية. وحتى اللهجات المتقاربة غالباً ما تتبع التطورات نفسها في الأصوات، والأشكال والبنى التركيبية ولكنها تتبعها وفق سرعتها وترتيبها الخاص بها. وهكذا، نجد أن الشجرة تبقى، بكل عيوبها، وسيلة العرض الأكثر توضيحاً. إن عدد الأشكال الأساسية المشتقة من المقارنة بين لغتين هي ثلاثة فقط. وهي (حسب صياغة هونجيسولد Hoenigswald في عام 1960: 144-6) على النحو التالي:

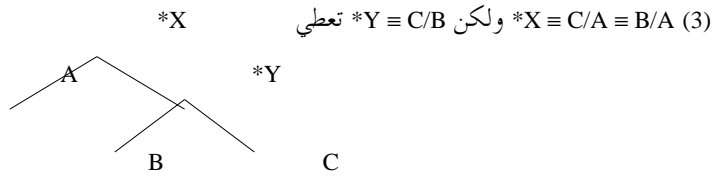


حيث أن *X تمثل لا A ولا B، أي لغة غير موجودة، أعيد تركيبها بوصفها لغة "أولية".

وبالطبع، يمكن لـ B/A أن تتفق مع لغة معروفة C، أو C/B مع A. وبثلاث لغات تتزايد الأشكال لتصبح سناً، ويكون لها استتباعات ممتعة وهامة:

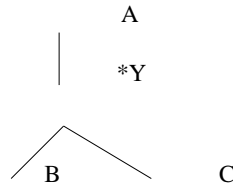


ومرة أخرى تمثل X^* ابتكاراً تفسيريّاً: نجد هنا أن X^*/A , X^*/B , و X^*/C تفضي إلى النتائج نفسها، وتشكل هذه بدورها X^* ، وهي بمثابة مخزن أشكال يمكن للظواهر في A و B و C أن تكون قد تطورت منه بشكلٍ معقولٍ منظمٍ.



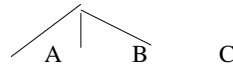
في هذه الحالة، تمثل *Y "لغة أولية" -فرعية، وهي نفسها ابنة (*X=*Y/A). ويمكن أن يتضح أن حتى *X هي لغة "أولية - فرعية" عندما تغذى ببيانات أو معلومات أكثر (نعني لغات أكثر). سيقال الكثير عن هذا المفهوم، أما الحالة المتطرفة منه فستوحد اللغات الإنسانية كافة في أصل واحد.

(٤) $A=C/A= B/A$ ولكن $*Y=C/B$ تعطي

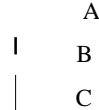


وذلك رسم مدهش، ولكنه معروف. تمثل A اللاتينية البائدة في مجموعة اللغات الرومانسية (رغم أن لهجة خاصة معقدة ستعطينا اللاتينية الكلاسيكية) وأن *Y هي مجرد ضرب "سوقي" لها، مختلف عنها جغرافياً، وأتى في فترة لاحقة وأعيد تركيبه كلغة "رومانسية أولية"

(5) $*X \equiv C/B \equiv C/A \equiv B/A$ تعطي



(6) $A \equiv C/A \equiv B/A$ ولكن C/B تعطي



والأشكال الأخرى الممكنة لا تقوم إلا بتغيير مواقع A و B و C.

ومع ذلك، ما زال هذا المنهج يعتمد على مفهوم الانتشار/التباعد مع مرور الزمن: فلأمهات بنات وحفيدات، بدرجات متفاوتة من "المركزية". إلا أن البعض يرى في التفرع أو الانتشار التطور السائد. ربما ما نسميه بالحوادث "المساحية" هي، في الواقع، مجموعات فرعية من عمليات "الدمج"، من بين أشياء أخرى، التي شكلت العائلات اللغوية الهندية الأوروبية أو الأفريقية الآسيوية أو الأورالية الألطية. وربما حتى أن Ursprache هي، في الواقع، لغة مشتركة.

ومع ذلك، فإن وجهة النظر المعاكسة التي تقول إن التفرع هو المفتاح ويجب اتباع استنتاجاته حتى إلى نقطة ما قبل التاريخ حيث كانت اللغات كلها لغة واحدة، قد لاقت استحساناً وقبولاً وربما بحماسة شديدة (راجع القسم ٣,٥ لاحقاً).

٤ . ٣ المقارنة المنظمة

كان الانطباع الذهني وراء المقارنة العرقية بين اللغات في البداية. حيث يبدو أن اللغات تنقسم عناصر مشتركة غير - عالمية مشتركة تتعلق بالاستخدام والشكل على حدٍ سواء. ويمكن العثور على هذه العناصر بشكلٍ أمثل في التراكيب الأساسية التي تعبر عن فئات الفعل الفرعية والأسماء والضمائر ويمكن تتبعها فونولوجيا، وبدون جهدٍ مضمّن إلى مصدر أو أصل مشترك. إن محاولة إعادة بناء ذلك الأصل يمكن أن تفشل من خلال الخروج عن نطاق ما هو معقول أو اقتصادي (على الرغم من أنه لا يمكنك إثبات أن لغتين ليستا قريبتين). والأسلوب افتراضي - استنتاجي، ويقود فرضها درجة الطبيعية. وسنكتشف أن إعادة تركيب الكلمة الأصلية التي وصلت إلى السنسكريتية كـ *asvah* واللاتينية كـ *equus* ستكون أمراً صعباً وعويصاً لأسباب عدة. ولكنه أمر يمكن الدفاع عنه بأن نؤسس، وبمساعدة لغات أخرى على صلة بالموضوع، شيئاً ما مثل **ek'wos*. نجد هنا أن الجزء "القواعدي" أي، القطعتين ~~الآن~~ ~~الآن~~ الأخيرتين، يلخص الدليل من أجل معادلة "الشكل في الوظيفة" في القسم الحساس أو المهم من اللغة، أي : حيث تُستغل "الدلالات الداخلية" (من خلال العدد، والجنس، والحالة الإعرابية) لجعل الجمل ممكنة. ولا يعني قولنا هذا أننا نساوي الوظائف بين اللغات بمقدار ودرجة الحدوث أو الأهمية : فالنهاية الفعلية *+tum* تتمتع بالدور الأساسي في صياغة المصدر في السنسكريتية، ولكن لاتلعب سوى دورٍ صغير "اسم الفعل" في اللاتينية. أما في الأقسام المعجمية، فالفرق موسوم بشكلٍ أكبر : من الواضح أن العدد "one" "واحد" له أصل في اللغات الهندية الأوروبية على شكل *oi-* وبإضافات صامتيه متنوعة ليعطي الكلمة السنسكريتية

eka- أي : (Oi + ko-) والكلمة اللاتينية *unus* (**Oi+no-*) وهكذا دواليك، في حين يُشتق العدد في الإغريقية من جذر أو أصل مختلف (**Sem*) ويجب وضع *Oi* بعيداً عن المركز، كما في *Oi+wo-* * في الصفة الهوميرية (استخدمها هوميرس) *oios*، بمعنى "وحيداً"، أو في (*á*) **Oi+na* في المصطلح (*Oiné*)، بمعنى النقطة الواحدة على زهرة النرد. ومرة أخرى نجد أن *moter* الألبانية تمثل صيغة أقرب للمقارنة مع *mother* الإنجليزية، *mutter* الألمانية واليونانية الغربية *mátér* وهكذا دواليك من *meme* الألبانية - إلا أن هذه الأخيرة هي التي تعني "أم" والأولى تعني "أخت". ولكن بمجرد أن تخضع المقارنات لعملية إعادة التركيب المشتركة، ونحصل على مجموعة من الصيغ "الأصلية" التي يمكننا جمعها، ببعض السرعة، سوية وتسمى لغة مشتركة أو "أم"، عندئذ، ستقوم طبيعة الخطة المنتظمة بلم شمل هذه المفردات جميعاً. وإذا ما حصلنا على تجمع من عناصر أُعيد بناؤها منفصلة (على سبيل المثال، كلمة هندية - أوربية أصلية رُكبت من عناصر مؤسسة جيداً مسبقاً) فسيكون من الممكن ~~أحر~~ التنبؤ بالشكل أو الصيغة التي ستأخذها - إن وجدت هناك - في الحثية أو السنسكريتية أو التوكرانية أو الأيرلندية أو اللتوانية. ما يقوم به اللغوي المقارن صاغه جيفري الـيس Jeffrey Ellis (١٩٦٦: ٨١ والصفحة التي تليها) في صيغة من المحتمل ألا تضاهي (رغم أن هبولدت قال شيئاً مماثلاً في عام 1828) ؛ "يلاحظ ضمن لغة واحدة عدداً من المورفيمات أو تجمعات مورفيمية ~~يحصل من~~ يمكن إرجاع كل معنى ~~كل~~ منها (المعجمي أو القواعدي) ~~على إمكانية~~ ~~إرجاعها~~ إلى أصل واحد (أي : لها المعنى نفسه في الأصل) كواحد في لغة أخرى، ~~وكل منها~~ ~~يحصل من تركيبها~~ كما يمكن إرجاع كل تركيب صوتي منها إلى أصل واحد ~~الصوتي على~~ ~~إمكانية ما~~ ~~إرجاعه~~ إلى أصل واحد (أي : أنها تمتلك التركيب الصوتي نفسه أصلاً) كواحد آخر في لغة أخرى، وأن الإمكانية الأخيرة، وبالتالي الأولى، تُرفع إلى مكانة احتمالية كبيرة عندما تكون التطورات الصوتية المطلوب افتراضها لكل واحد هي نفسها عند الجميع." وتمثل كلمة "الاحتمالية" (أو الإمكانية) كلمة أساسية، كما سنرى الآن.

وبناءً على ذلك، فلو عرضت عدة لغات تنتمي إلى الهندية - الأوروبية للكلمة "مليء" في هذه الأشكال: السنسكريتية *púrnah* والإغريقية *plérés*؛ واللاتينية *plénus*؛ ولكن في الغولية *fulls*؛ والارلندية القديمة *làn*؛ والويلزية *llawn*

فيمكننا القول **بأنه** : يجب التنبؤ بسلوك القطعة الأولى بشكل منتظم في الكلمة الدالة على "أب". بمجرد أن نحصل، لنقل على *pità* في السنسكريتية : يجب أن تكون *p-* في اليونانية واللاتينية، ولكن *f-* في الجرمانية أو لاشيء */f/* في اللغة الكلتية. وهذا ما هو عليه الحال، في الواقع : *pater* في اليونانية، و *pater* في اللاتينية؛ ولكن *fadar* في الغولية؛ و *athir* في الارلندية القديمة.

إن الحقائق التاريخية المفصلة التي تغطي سلسلة القطع كاملة في هذه الكلمات غاية في التعقيد (رغم أنها أصبحت معروفة جداً الآن). وسيكون لقول توفيقى وقع مفيد وانعطافات ممتعة وحتى جنونية. إلا أن المبدأ واضح ومباشر تماماً.

ومن المهم ألا نخلط بين التغيير البسيط - كما في لفظ **ك** يبدو أنه يبدأ في لغة - هندية - أوروبية أولية وبقي في لغات عدة كـ */k/*، ولكنه أصبح على سبيل المثال [**ك**] في الهندية المبكرة - والتغيرات الاستيعابية، التي ينتج عنها دمج قطع كانت في الأصل منفصلة. و"الانشطارات" تسترعي الانتباه ولكنها لا تسبب أي معضلة، إذ غالباً ما يمنح المتكلمون قيمة مختلفة لأصوات */k/*، من خلال إضافة سمة الحنكية للصوت */K/* عندما يقع أمام الأصوات */e/* أو */i/* كما يفعل الألمان بالصوت الثاني في *kirche*، أو النرويجيون بالصوت الأول في *kirke* (كلاهما من *kyriak-* الكلمة الأقدم). ولكن إذا ما تطابق الشكل الجديد مع شكل قطعة (صوت) يعمل مسبقاً في اللغة، فسيبدو من الصعب، وسرعان ما يبدو من المستحيل، للمتكلمين أن يميزوا حالات ورودها بوصفها مجموعة فرعية من رموز العنصر الذي اندمجت معه. تحتوي اللاتينية على */t/* و */s/* كما تفعل أمها الأصل، ولكنها حولت بعضاً من مجموعة */s/* - تلك التي تقع بين الصوائت - إلى */t/*؛ عندئذ، أصبحت مجموعة حالات ورود */t/s/* تضم */s/* الجديدة، إلا أن هذه اندمجت في هذا المكان بشكل لا يمكن الفصل بينهما. ففي *soror* بمعنى "أخت" تمثل *t* الأولى عنصراً قديماً والثانية عنصراً قديماً، ولكن كيف يمكننا الإخبار عن

ذلك؟ فالفروقات لا تختفي مباشرة على أية حال. نجد هنا أن بعض الصوائت القصيرة قد خففت فقط قبل /s/ /r/ الجديدة. وهي لا تحتاج لذلك حقاً: (<*(a)pi-so)؟> pirum لا تتغير، وكذلك الصيغ التي تتبع فيها حدود زائدة سلاسل /ir/ الجديدة، وهكذا نجد، (<*si-sit) serit، ولكن تبقى (<dis-emo) *dir-imo). ولكن لا تتأثر أي سلاسل من /ir/ أصلية بهذه القاعدة. وهكذا تبقى إمكانية وجود فترة يمكن فيها تحرير العناصر المندمجة أمراً ممكناً (وغالباً ما يسمى مثل ذلك التحرير بـ (Ruck(ver)Wand lung). وهناك كلمة استثنائية بمفردها (= pareia "خذ") تبرهن بشكل غير مباشر ولكنه قطعي من خلال تاريخها أنه عندما قَدِّمَتْ مجموعة اللهجات الإغريقية الإيونية ورفعت /ã/ لتأخذ قيمة {E:}، فإن متكلمي الأتيلية (الأتينية) الإغريقية أخذوا بذلك في البداية ورفعوا الصوت في الحالات جميعها وبعد ذلك عادوا إلى القيمة الأصلية بعد /r/ (وربما فعلوا ذلك أيضاً بعد e و I حيث تظهر ã بالتأكيد كمنعكس نظامي). إلا أن الاندماج الذي لا يمكن عكس مسيرته، ولا ينبغي له أن يفصل لأن المتكلمين فقدوا القدرة على استعادة الشكل الذي اعتادوه، هو الضمان لتغير ثابت وتفرع حقيقي في مرحلة التطور. ومع ذلك، ومما يثير الغرابة أن هذا المفهوم الأساسي والمهم لم يدرك إلا مع حلول العشرينيات من هذا القرن (أدركه بوليفانوف Polivanov في روسيا) وبشكل مستقل على ما يبدو في الخمسينيات من هذا القرن أيضاً (هونينغزولد في أمريكا).

١,٣,٤ المستعارات

عندما يكون المؤرخ جاهزاً لتنفيذ مقارنته وإعادة البناء، فما يزال هناك إعلان من التطهير عليه القيام بما على المادة البحثية. الأول: إعادة بناء داخلية ضمن كل لغة معنية بالمقارنة: وسيقال الكثير حول هذه العملية الهامة في (القسم ٢,٣,٤). والآخر هو إزالة ما يسمى، من قبيل الطرفة بـ "المستعارات". فلو أخذت لغة كلمة جاهزة من لغات أخرى، فإن تلك الكلمة ليست دليلاً نموذجياً ومقبولاً بما يتعلق باللغة المستعيرة، على الأقل ليس بشكل كامل. ويمكن تحديد بعض الصعوبات والتعقيدات الواضحة (فبعض الكلمات مؤلفة من أجزاء مستعارة وأخرى أصلية، وأحياناً لا يستعار سوى المعنى، و"يترجم" الشكل إلى اللغة الهدف). وبدقة أكبر هناك عدة ظلال لدمج المستعارات. فالكلمة الفرنسية age هي جزء من قصة ما حدث

للأشكال الموروثة (في هذه الحالة، شيء **مغلّب** كما في *aetaticium* اللاتينية) وتنتمي إلى تاريخ الفرنسية المنتظم؛ والكلمة الإنجليزية المستعارة age، على الرغم من ذلك، هي جزء من دليل إنجليزي. بما يتعلق بقيمة صائتها الجديد [ei] واحتفاظها بصوت فرنسية القرون الوسطى **[ei]**. ومع ذلك تبقى كلمة *mirage* (بغض النظر عن بعض "أنجلرة" القسم /iɪ/) مثلاً حقيقياً لتبديل الشفرة ويجب أن تظهر بشكل كامل في معالجة الفرنسية وليس الإنجليزية أبداً. وسيسمح المتخصص بعلم الأمراض، وهو يبحث في جوانب **عرقية-وراثية** ممكنة وقديمة لدى عائلة منكوبة، بأقل التأثير من أولئك الذين تراوحو، ويستبعد **معلومات** أو بيانات علمية من أطفال تم تبنيهم حديثاً (لدى تلك العائلة).

٢-٣-٤ إعادة البناء الداخلية

من المهم ألا نقارن الأشياء التي لا تفيد إلا في التضليل. يمكن بسهولة تجاهل هوية المعنى أو الصيغ المستعارة؛ ولكن قد يكمن مصدر الأخطاء الأدق في الفشل في استخدام الصيغ التاريخية الأكثر أهمية والتي يمكن استخلاصها من كل لغة قيد المقارنة. يجب الاعتراف بتاريخ اللغة نفسها أولاً؛ **وفعل ذلك يتعمم** يعني أن نكمل عملية "التطهير" الثانية الأساسية حول المادة البحثية. وهنا، يعتمد التطهير جزئياً على الملاحظة وعلى أشياء أخرى في جزئه الثاني. من الحكمة أن نبحث في المخطوطات (بما في ذلك النقوش والكتابات الجدارية القديمة للغاية... الخ) للحصول على أقدم الأشكال صحة من الصيغ المعروفة. فعلى سبيل المثال، إذا ما اكتشف المؤرخ أن الكلمة الإنجليزية الحديثة *let* هي امتداد لفعلين منفصلين قديمين، *latan*. بمعنى "يسمح" و *lettan*. بمعنى "يمنع"، فإنه يتجنب بوضوح بعض الأخطاء المرعبة في إعادة البناء الصرفي - الدلالي. يسمى الأسلوب الثاني بـ "إعادة البناء الداخلية"، ولكي يعمل المرء به عليه أن يلمّ بعلم صرف اللغة قيد الدرس (حتى عندما تكون النتائج فونولوجية وتعتمد على تكييف صوتي دقيق ومعقول). ومثال قدم متداول هو إعادة تركيب [ra:d] "عجله" على أنها الشكل الأقدم لحالة الرفع في الألمانية [ra:t]، وتهجأ *rad*، وتكون في حالة الإضافة [ra:des] وتهجأ *Rades*. ولدى *Rat* [ra:t] "نصيحة" حالة إضافة على نحو *Rates* [ra:tes]، حيث يمكن ملاحظة النمط. والآن يمكن استبعاد حالة الرفع الحديثة (ra:t) التي تعني "عجلة": لأن التحول إلى

صوت انفجاري أخير غير - مجهور قد "توقف". إلا أن التهجئة توحى بذلك على أية حال، وحتى الباحث المهمل الذي تقوده الصيغ الكتابية فقط، يمكن أن يصل، وبشكل غير عادل أبداً، إلى صيغة المقارنة الصحيحة. ومثال أفضل ~~يمكن أن يكون~~ يظهر في علاقة حالة الرفع بحالة الإضافة اللاتينية بين *mus* و *muris* "فأر" أو *flos* و *floris* "زهرة" أو *honoris* و *honos* "شرف" أو *genus* و *generis* "قريب". إن ~~النمط~~ النموذج الذي وضعته الأنماط - *animalis* *animal* (أو إذا ما سمحنا بسقوط الصامت الأخير *Cor-dis*، أو، وبتحول صوتي قليل، *nominis - nomen*) يتنبأ بزائدة + *si* بوصفها مؤشراً لعلامة الإضافة في صيغة المفرد هنا. وبناء على ذلك نجد أن *fur - furis - amoris* تخضع للقاعدة ولكن نتوقع من **musis* و **Flosis*، **honosis* أن تفعل ذلك، ولكنها تأتي ذلك. إلا أن الصيغ التي تحدث فعلاً، مع بدائل مثل *re + ama* ولكن *se + es* في صيغ مصدر الفعل، تسمح بإعادة بناء تكون فيه /s/ محوله، وتصيح /r/ بين الصوائت: وهكذا نجد أن *Lases* تسبق *Lares* كاسم لآلهة محلية. وإذا ما عرفنا أن قاطني بلدة *Falerii* كانوا يسمون *Falisci*، فلا يستحق المرء جائزة كبيرة لتحصيل اسم البلدة الأصلي على الرغم من أن هناك تعقيداً في أن **Falisi* الأقدم قد عانت أيضاً من تخفيض الصائت (i < e). والآن كيف يتصرف الإنسان بالنسبة لـ *serit* "يذر" (التي لوحظت أنفاً)؟ أضف إلى المكاسب التي حققناها للتو الملاحظة في أن اللاتينية تتجنب الأفعال أحادية المقطع (على سبيل المثال استبدال *nat* "يسح" بـ *nata*) وغالباً ما تفعل ذلك من خلال المضاعفة كما في *si-stit* و *gi-gnit*، فإننا سنصل إلى الصيغة **si-sit*، المشتقة من **sit* المفقودة، الموجودة **s-* فيها في الصيغ مثيلاتها من الصيغ في لغات أخرى (كما في الإنجليزية *sow*، والألمانية *saen*). والآن لم يرجع الانعكاس اللاتيني إلى شكل مقارن قبل - تاريخي مفترض فقط، ولكن يمكن إزالة العديد من الحالات الشاذة أيضاً. فلو خُفض صائت قصير عال قبل هذه الـ /s/ الملونة بـ /r/، عندئذ، يمكن أن نعيد في الفعل (to be) المصدر المستقبلي *fore* أو الصيغة الافتراضية الناقصة (2sg.) *fores* إلى **fu-se* و **fu-ses* (قارن *es-se*، *es-ses*)، وتعرض اللاتينية الآن بشكل واضح فقط *se* + بوصفها زائدة مصدرية ومجرد *es-* و *fu-* بوصفها جذوراً متناوبة. أما سلسلة الحوادث الحقيقية التي تؤدي إلى شذوذ ملحوظ فغالباً ما تكون معقدة للغاية ولا تخضع لإعادة التركيب الداخلي: ومرة أخرى، فغالباً ما تفضي المساواة

القياسية في الجداول (مثلاً عندما تنسح *honos* المجال لحالة الرفع *honor*) إلى شكل سطحي مزيف للانعكاس الثابت في ميراث بسيط، في حين كانت هناك في الواقع بدائل عويصة في اللغة الأم أو في الشكل الأقدم من لغتنا المعنية. بملاحظاتنا (ولدى هوك Hock، 1986: 267 والصفحة التي تليها و 549 والصفحة التي تليها، توضيحاً جيداً بهذا الخصوص). علاوة على ذلك يجب على إعادة البناء الداخلية أن تطبق على مظاهر القواعد السطحية، على الرغم من أنه يجب فعل ذلك عبر فئات القواعد كاملة، لأنه لا يوجد هناك رغبة للجوء إلى الصيغ "العميقة".

٤. ٤ إعادة البناء المقارن

لنلتفت الآن إلى العملية الرئيسية في التحليل العرقي-الوراثي - التاريخي، أي: إعادة البناء المقارن. ومتى تم استكمال الإجراءات الضرورية، يضع المؤرخ المفردات المرغوب مقارنتها بين ما يفترضه لغات متصلة عرقياً. أما أساس كل مقارنة فيتمثل في أن تكون المفردات بشكل عام - وقد شرحنا آنفاً ما نعني "بشكل عام". ويتمثل الهدف في صيغة "توفيقية" لكل قطعة صوتية ضمن بناء صرفي صحيح سواء كان واسماً قواعدياً (مثل تصريف فعلي **mes+* أو واسماً لاسم اشتقاقي مثل *(om)tmentl+**) أو جذراً معجمياً. ما تزال إعادة تركيب البنى النحوية وعناصرها في مهدها؛ وسيقال شيء ما حول الوضع الحالي في القسم ٧. ١ لاحقاً. أما تغيير الشكل مع مرور الزمن - ما يحدث لـ *m/* موروثه تقع في بداية الكلمة في اللغة الكلتيّة - فعادة ما تحتويها معادلات عن التحول. وعادة ما تأخذ مثل هذه المعادلات شكل معادلة "كذا - و - كذا". وليس السبب -لأنها ذات فائدة كبيرة أو أهمية عالمية (رغم أن بعضها على كذلك الليل)، ولكن لأن البطل الرمز، في العادة، كان يتمتع بشهرة وكان عليه أن ينطق أو يلمح بالشيء فقط، لكي يصبح حقيقة منطق، أو مجرد... المح حقيقة تاريخية واضحة يجدها الآخرون مهمة ويرغبون في الإشارة إليها بطريقة ملائمة حتى ولو لم يفهمها سوى قلة من المختصين (قارن كولنج 1985: ١٩٨٥)

دعنا نوفق بين مواد بحثية هندية - أوربية محتملة، مستخدمين رموز المهنة المقبولة على

النحو التالي:

- < "مستبدلة بـ":
- > "الورث التاريخي لـ"
- /- كما وضعت في السياق بمعنى ("البيئة")
(وهكذا تعني /x-y / عندما تتبع x وتسبق y)
- * "توجد فقط بوصفها صيغة مفترضة أو معادة التركيب"
(ملاحظة: لا تعني "مستحيلة" أو "غير مقبولة"؛ سنشير إلى تلك الصيغ بـ †)
- + تشير إلى حدود صرفية
- \$ تشير إلى حدود مقطعية
- # تشير إلى حدود كلمة (في العادة)
- // يضمن قطعاً فونولوجية أساسية
- () تضمان قطعاً ذات ورود متنوع، أو مشكوك فيه أو لا صلة له بالنقطة قيد الدرس.
- (١) نجد في السنسكريتية أن *sant-* تعني "كائن" أو "وجود"؛ واليونانية الاثينية *ont* "كائن أو وجود"؛ وفي اللاتينية - *absent*، "كونه بعيداً"؛ - *sont* "مذنب" (أي: ~~كونه متورطاً~~ أنه متورط ~~حقيقية~~)؛ و في الإنجليزية القديمة *soD*؛ (حالياً *sooth*). بمعنى "الحقيقة".
- (٢) والحتية *a-da-an-zi* تعني "يأكلون"؛ والسنسكريتية-*dant*؛ والإغريقية الأثينية *odont-*؛ واللاتينية *dent-*؛ والقوطية *tunb*؛ والجرمانية العليا القديمة *zand*؛ والإنجليزية القديمة *toD* كلها تعني "سن".

تتمثل المهمة في تأسيس كلمة "أصيلة" في كل حالة، بشكلٍ يمكن فيه لعمليات تغير الصوت نفسها أن تعمل في كافة تلك السلاسل وبالطريقة نفسها في اللغات المتباينة المؤتقة. وهكذا، إذا ما زود المرءُ بصيغ الإنجليزية واللغة الهندية - الأوروبية الأم في (١) فإنه سيكون قادراً على التنبؤ بأي منهما في (٢)، إذا ما زود بالأخرى. والحال نفسه ينطبق على كافة اللغات التي تحتوي على انعكاس موجود من هذه اللغات أو سلاسل مركبة صرفياً بشكلٍ مشابه. والآن من الواضح أن لبعض الأشياء سلوكاً خاصاً، كالصائت الزائد الأول في الـ *adanzi* أو اليونانية - *odont*، أو غياب (n) المثير للفضول، في الإنجليزية، أو تنوع الصوائت (حيث أن اختيار شكل الهندية الأوروبية الأولى سيحتاج إلى مزيد من الدراسة معتمداً على دخل أكثر بكثير). وإنه لمن المعقول أن نبدأ من - *sent** أو - *sont* - و - *dent** أو - *dont*، وأن ننسب إلى بعض من تاريخ هذه اللغات منفردة تحول الصوائت الوسطى إلى /a/. إلا أن تاريخ الإنجليزية يعرض لغزاً نموذجياً أو معهوداً، في فقدانه لـ *n*. ومن أجل ذلك، يمكن صياغة معادلة تنبؤية ممكنة لتفسير التحول على النحو التالي :

"PIE /n/ > English Ø /V-c(#)"

وتقرأ القاعدة على النحو التالي: يُفقد صوت أنفي في اللغات الهندية - الأوروبية الأولى أثناء تطور الإنجليزية عندما يقع بين صائت وصامت (ربما في الموقع الأخير). وهذا "طبيعي" تماماً، وصحيح أيضاً، لأن حركة أعضاء النطق تزرع، أحياناً، أو لسهولة حركتها تتطلب، زرع أصوات: وهكذا نجد الصوائت "المحلية" عضويةً في *Henry* (*Henry*) أو اليونانية *ambro* (*sia*) الخ. (-*a+mro**) أو الصوائت المضافة في *Henery* (*Henry*) أو الأسبانية *escribir* من اللاتينية *Scribere*. ولكنه من المعتاد أكثر أن يسقط صوت، خاصة الصوت الأنفي، لأن الأنفية هي في أغلب الأحيان مجرد سمة سهلة تُفرض على الصائت .

ولكن ماذا عن الإستثناءات؟ لماذا تحتوي الإنجليزية *plinth*؟ تنبيه زائف: لأن هذه ببساطة كلمة مستعارة (من اليونانية *plinthos*) وتظهر حتى في اللهجة المعاصرة بصيغة *plithos*، وربما هي نفسها استيراد شرقي، على أية حال، ستكون جلية من المقارنة مسبقاً، كما هو الحال في، على سبيل المثال *dent-(al)*... الخ من اللاتينية، الآن *mouth* (الألمانية

(Mund) هي كما يجب أن تكون عليه، ولكن ماذا عن month؟، ولكن إذا ما أنجزنا إعادة البناء الداخلية، فستكون الإنجليزية القديمة monap، (قارن القوطية ménóPs)، هي المادة الصحيحة، ومن الواضح أنها لا علاقة لها باللتقطية بالموضوع لأن الصائت يتبع الصوت الأنفي. حسناً، ولكن لماذا يوجد لدينا hundred, wound, hound وما شابهها؟ ستوقف هذه الإستثناءات عن كونها استثناءات عندما يصاغ سياق التحول بدقة أكبر، لأنها توحي بأن هناك حاجة لقيود على الصامت اللاحق: لن يُذكر هنا كصوت وقف (في الإنجليزية) ولكن كصوت "استمراري" وبعض الاحتكاك - كما يلاحظ عندما تحتفظ gan+ra بصوتها الأنفي (gander) ولكن تفقده (goose) gan+s قبل /s/. وهكذا نجد أن تأثير الإستثناءات الزائفة هو التنفيذ وبالتالي يساعد على تشذيب المعادلات التاريخية، وياله من دورٍ عظيم.

وتمثل مصدر هام لمثل هذه الاستثناءات الزائفة بالتغاضي عن التسلسل الزمني النسبي لمثل هذه التغييرات. يجب تحديد التحولات على محور الزمن على الأقل بعلاقتها مع بعضها البعض بعضاً في فترة التغيير. ومن الأهمية بمكان أن يحتل التغيير فترة محددة من الزمن بعدما تم قبوله وقبل أن يتوقف عن تأثيره في العناصر لأنه استنفذ، في العادة، مدى أو قدرة التغييرات كاملة. إن صيغة المونث في حالة الرفع للصفة "all" في اليونانية الأثينية بدأت كـ *pantya* وانتقلت إلى pansa، ولكن لم تفعل ذلك إلا بعد إتمام "تغيير" آخر، تغيير /ns/ إلى /n/v-^v/ (عندما أصبحت، على سبيل المثال *ghan+os* في الهندية - الأوروية الأولى khan+os < اليونانية الأثينية khénos)؛ وهكذا فهي لم تصل إلى *pàn a*. بعدئذ، تغيرت pansa إلى pása في اليونانية الأثينية (سقوط الأنفية قبل الاحتكاك، مرة أخرى)، ولكن كان الوقت متأخراً للغاية لسقوط /s/ بين الصوائت (التي سلاحظها لاحقاً) - ولذلك، لم نحصل على *pāa* أو *pá*. وتطور /á/ في هذه الكلمات بعد أن توقفت الإغريقية الأثينية عن تحويل ذلك الصوت الموروث إلى /ε:/ وبالتالي لم تكن هناك *péa*.

ويمكن لتحويل أن يحدث ثانية حتى ضمن اللغة نفسها: وهكذا نجد أن اللاكونية الإغريقية (استخدمت في أسبارطة القديمة) فقدت /s/ بين الصوائت للمرة الثانية بعد ذروة ذلك التأثير (ونهايته) في الفترة المايسينية بزمن بعيد. فستكون صيغتها Moa مع جمع الإضافة على

نحو *Mó+án*، من الآلهة (**Mósáom*)، التي تبرز كلا التركيبين ؛ وقد اختفت /s/ الثانية ولم يبق سوى آثار صغيرة قبل 1200 قبل الميلاد بقليل، في حين لم تستمر الأولى إلى أبعد من القرن السابع ميلادي. وتكرار الحدث شيء يمكن التنبؤ به إذا كان التغيير طبيعياً كما في هذه الحالة ؛ حيث تم استبدال صوت احتكاكي لا - دوري، يصدر من خلال تقريب أعضاء نطق في الفم، بنفس النوع من الصوت ولكن يتم إصداره من خلال السماح للهواء بالمرور من فتحة الزمار عبر الفم إلى الخارج ؛ وهذا بدوره لا يشبه النشاطات الصوتية الأخرى في الجحري الصوتي بحيث أنها تميل للاختفاء كلياً. ولهذا، فمن الشائع تماماً أن نحصل على التالي: $\theta > /h/$ */s/*. يمكن القيام ببعض التنبؤات الأخرى المماثلة (وقد جرى ذلك في الحقيقة) وفق قاعدة أن الانحراف عن المعيار الذي يمثل صيغة التحولات في البداية، يُفضل في بعض الحالات أكثر من حالات أخرى. وهكذا يبدو أنه كان من الأسهل تطبيق فرضية "التحول" أو الميل إلى تغير بعينه (قارن ساير 1921:165 والصفحة التي تليها)، على علم الصرف وعلم التراكيب، بشكل أسهل منه على علم الأصوات. لقد تنبأ ايوارد ساير بالفقدان التام لـ *whom* الإنجليزية لصالح *who* (هل نحن على أعتاب ذلك الآن تقريباً؟) ؛ وتحيل نمطاً لا يقاوم نحو فقدان الفرق بين صيغ الأسماء الدالة على الفاعل والمفعول به، وفي الواقع، **كافية** فقدان الفرق لكافة التصريفات (مثل تعليم الحالة الإعرابية)، وكذلك تحركاً لاحقاً نحو ترتيب ثابت لعناصر الجملة كوسيلة أساسية في دراسة نحو الجملة. وطور الآخرون الاستباعات التفصيلية لهذه الفكرة: حيث **صوّب** ربط **جمع** روبن ليكوف *Lakoff-Robin Lekoff* عام ١٩٧٢ بين استخدام ضمائر الفاعل وأدوات التعريف، وحروف الجر، وتعابير الفعل التركيبية أو التعريفية والموصولة بفاعل مساعد ؛ وكذلك شرح فينمان *Vennemann* (1975) الرغبة الشاملة لتفضيل موقع مركزي للأفعال في الجملة، يسبقه الفاعل، ويتبعه المفعول به (راجع القسم السادس).

وكجزء من "التحول"، يمكن لما يسمى بـ "المؤامرات" أن ترشد نحو التغيير. فلو فقدت لغة أثناء تطورها صوامت نائية وزرعت صوائت وسطى (كما في *Henery* أنفاً) فمن الجدير بالذكر ملاحظة أن هذين التغيرين المختلفين لهما هدف مشترك ألا وهو التخلص من سلاسل مثل */-CVC#/* أو */-CVC\$/*. أي: أنها تتخلص من المقاطع المغلقة أي: المقاطع التي

تنتهي بصامت. وبعدها يستمر الباحث المتيقظ في تفحص أنماط أخرى من إعادة الترتيب لها التأثير نفسه ضمن المقاطع ، مثل تحريك الأصوات المتوسطة إلى موقع بعد - صامتي لا تعتبر فيه عادة صوامت كاملة ، وهكذا يمكن إعادة مقطعة /CVr\$/ مع r في نهاية المقطع، على نحو /CrV\$/ . لقد حدثت مثل هذه ~~المجموعة~~ الكتلة المعروفة من الأحداث (الترعة لفتح المقاطع) في اللغات السلافية المبكرة، ووردت حالات أخرى مشابهة في لغات أخرى (راجع القسم السادس للوقوف على الأسباب العامة).

٤. ٤. ١ الإستثناءات

ولكن لا ~~تطأ~~ تطأ كل الاستثناءات رأسها عندما تصاغ المعلومات التاريخية بدقة أكبر. في الواقع هناك أعداد كبيرة من الشواذ الثابتة. وإذا ما طبق نظير أو مثيل ما عبر عنه ايدغار سترتفانت Edgar Sturtevant المشهور بـ "قانون ووترلو" (بأن كل الجنود البروسين البالغ طولهم ستة أقدام قد قتلوا هناك) على التغيرات اللاتينية V-V /s/ > /t/، فإنه سيسمح بوجود لمثل تلك الاستثناءات المزيفة مثلها في ذلك مثل البروسيين الذين لم يولدوا بعد (وهكذا، فإننا نجد *causa*، لأنها لم تحصل على ذلك الشكل في الزمن المناسب)، أو أصبحت طبيعية متأخرة للغاية (مثل الكلمة الوافدة *casa*)، أو قريبة جداً من الجثث الموجودة - لأن ذلك يبدو أنه القياس الصحيح - (مثلما حُفظت /s/ في *miser* كما هي بسبب /t/ التي تليها)، أو حتى في حالة عندما يلتوي بروسي حي آخر (ليس في المعركة) من تأثير الجثة (مثلاً، عندما، يؤكد الصوت /s/ في بداية الكلمة (وليس بين الصائتين) أن البروسي في المنتصف قد مات، أي: أن /s/ أصبحت /t/ في نهاية المطاف) *soror* > **sorsor* (> **swesor*). ولكن بعد كل ذلك، لماذا ترد *nāsus* "نف"، خاصة جنباً إلى جنب مع *nārés* "المنخران"؟ لماذا هذا الاستثناء الحقيقي الصرف؟

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، اتخذ *Juaggrammdische Richtung* "النحاة الشباب" (راجع القسم الثالث أنفاً) موقفاً صلباً عمداً حول هذا الموضوع. وصرحوا بصفاقة واعية على أنه لا توجد استثناءات حقيقية في قاعدة تحويل مصاغة بشكل صحيح. ومثل هذا الموقف سياسة عامة ، ومنيراً لأرائهم. ودفعتهم مع الآخرين لزيادة عمليات التطهير وتوسيعها،

وهذا ما صب قسوة لا نظير لها في مهنة مدمنة على القوانين العشوائية. ومع هذا كله، فإنهم أدركوا أنه لا بد من بعض الاستثناءات الحقيقية التي تستحق اعتذارات صحيحة - وحتى في النهاية ستبقى هناك روااسب مما لم يشرح، أو لم تشرح بعد- (جانكوسكي Jankowsky ١٩٧٢). وأدى هذا لأن تصبح قوانين التغيير معضلة في نهاية المطاف وهي تحاول تبرير مفاهيم مثل مفهوم "التحول" على سبيل المثال. إن أنواع شرح مثل هذه الاستثناءات الحقيقية خمسة ، على ما يبدو:

أولاً : **غالباً لا تطيعان** العناصر التي لا تندمج كثيراً في أنظمة اللغة (مثل الأسماء) و/أو **خوابت** ذوات درجة التردد العالية والثقل (مثل أداة النفي البسيطة) لا تطيع القواعد غالباً. هناك صوت مهموس في بداية الكلمة اللاتينية الدالة على "حصان"، *hippos*، ولكنها تسقط في اسم مثل *Leukippos* ("حصان أبيض")، **ربما تُفقد** قد يكون متوقفاً أن يصبح اسم المدينة الإيطالية *Milano*، وهو يشتق من *Medio lan(i)-um*، على نحو *Medilano** أو ربما *Mezzolano**. وهناك في اللاتينية الاستخدام المكثف لـ *non* (-*ne + oeno**) بدلاً من الصيغة المتوقعة *senior** (فارن : *üllus*)). وحيثما تعطي الفرنسية درجة تردد عالية للمشتقات من اللاتينية *senior* أو *ambu (ámus)* فإنهما تبدوان بالصيغة غير العادية *sire* و *all(ons)*.

ثانياً : ربما ساعدت المعالجة الخاصة على تباعد بين عناصر يؤدي دمجها إلى إرباك : ففي بعض لهجات الفرنسية، **فُضِّلَ** كان التحول على هيئة */V-V/* ، مفضلاً وأبقى الأثر القديم الغريب في اللغة القياسية (وهكذا نجد *chaise < chaire*، أي أن الأولى أصبحت الوريث التاريخي للثانية). وحتى أن *Paris* سميت لفترة قصيرة *Pasys*. ولكن لم يبق الأمر كذلك لتجنب شكل من أشكال التجانس اللفظي : واحتفظ بالفرق بين *oreille* "أذن" و *oseille* بمعنى "فرس". ولحسن الحظ، فإن الكلمات التي تعني بالقرابة عنيدة (فارن : *mere* رغم *mer*)، واحتفظ بـ *frere* متميزة عن *fraise* ؛ يبدو أنه اعتبر من الحماقة والخبث بمكان خلط اسم الأخ مع اسم الفراولة. ولكن غالباً ما تتأثر هي نفسها : بما أن الكلمتين الانجليزييتين *let* اتحدتا في الشكل فقد أصبحت إحداهما نادرة ومتخصصة للغاية (تلك التي تعني "يمنع").

ثالثاً : ربما عملت بعض التحولات على فترات لتسمح بالتشابه مع عمل تحول منافس+ ينطبق وبنفس الدرجة على الدخل نفسه ؛ ويكون التحول الأنجح هو الأكثر "كثافة أو حدة". وأحياناً تبدأ عملية شد الحبل كما في اليونانية الأثينية حيث تُجذب /o/ المركزية في *onoma* "اسم" (*PIE nom (e) n*) بدون أدنى شك نحو الأعلى من قبل الصوت الشفوي اللاحق (كما في *anonumos*، "غير مسمى") ولكنها تُسحب إلى الخلف كي "تنسجم" مع /o/ التي تسبقها.

رابعاً : هناك ظاهرة "الانتشار المعجمي". يغطي هذا المصطلح الحالات الموثقة بسهولة حيث يحدث تحول، عادةً في الصوت، في كلمات اللغة التي تشكل سياقها المحدد، ولكن ليس في جميعها مرة واحدة. **أغلباً** إنما تنتشر مثل دبس السكر في اللغة، حيث تؤثر في أشكال بعض الفئات بسرعة، **والبيض** وفي بعضها الآخر ببطء أكثر، وبعض آخر بتردد ملحوظ. يعود الفضل لوانغ و تشن Wang & Chen في إظهار هذا المفهوم (لاحظه وتني 1894) الذي يراه العديد الآن على أنه النمط الطبيعي، رغم **أن البعض** بعضهم الآخر يعتبر إضعافاً مستمراً في الحالات المعاكسة هو في الواقع نقطة الاهتمام الحقيقية. ربما لم يكن التعميم البطيء عشوائياً (وكان **مجرد** هناك بعض الكلمات تجذب ببساطة التغيير أسرع من غيرها) ولكن تحكمه فروقات بين أصناف كلمة أو أصنافها الفرعية، ربما قاومت الضمائر أكثر أو أقل من الأسماء، والصيغ الاستفهامية+ أكثر أو أقل من أسماء الإشارة، وهكذا دواليك. فالصورة ليست واضحة؛ إلا أن الدراسات الديموغرافية تظهر النسب المتفاوتة للانتشار المعجمي حنباً إلى جنب مع درجات **أول نسب** من القبول المقيدة التي تقيدها اجتماعياً **من قبل** شرائح من المتكلمين. ويمثل هذا الأخير عاملاً متقاطعاً آخر، فعلى سبيل المثال، عندما كانت الإغريقية الشعبية/الحكية تزيد من سيطرتها منذ بضع سنوات (قبل مكانتها الرسمية الطاغية الآن)، فقد أظهر المتكلمون ذوو العقلية المحافظة وكذلك الإناث المتكلمات استخداماً أكثر **تحفظ المحافظون، وأظهرت المتكلمات استخداماً أكثر** تفاوتاً أو تقطعاً لصيغها (ضمن معاييرها التراثية) من الرجال الانقلابيين (الراديكاليين). ومن هنا ربما احتاج الأمر لاستخدام "قواعد المتغيرات" في الوصف. وغالباً ما تظهر المزامم التي تقول **أن** إن التحول نفسه مقيد صوتياً تدريجياً على أنها مزامم زائفة (كما في الإبدال الصائتي

الألماني (الجرماني) حيث نتجت /a/ من تحرك [a] نحو [e] متجاوزة بسرعة فوق [eEe] - قارن كنج King (1969:116) أو حتى عندما يمكن برهنة برهان بعض الخطوات، يوضح فإن الأمر يبدو سخيلاً. أي بمعنى آخر فإنها قد تجعل التحول متعاقباً، ألمها تقسم تحولاً واحداً إلى سلسلة متعاقبة، ويمكن لذلك أن يكون صحيحاً في هذه الحالة، ولكنه لن يكون مهماً أو ذا فائدة إلا إذا تم تأسيس علاقة سببية لذلك التدرج أو التعاقب.

والقياس هو السبب الخامس للاستثناءات التاريخية. وعندما أكد النحاة الجدد على قوة التحولات التي لا استثناء فيها، فإنهم اعترفوا بوجود قوة أخرى على قدرٍ من الأهمية ألا وهي القياس. حيث قال ليسكن Leskien "هذان هما الأمران المهمان فقط". كان المصطلح الأقدم "القياس الزائف" - وكان التطور النظامي كان وحده "الصحيح" فقط - ولكن فهمت العملية القياسية أخيراً على أنها عملية طبيعية ومؤثرة وكثيرة الحدوث. وقد تعمل على المستوى المعجمي : وهكذا فإن المعنى المشابه يولد شكلاً مشابهاً، مثلما حدث عندما استعارت الإنجليزية *femelle* الفرنسية وبعد ذلك عدلتها لتصبح *female* كي تنسجم مع *male*. وأصبحت الأعداد متشابهة جزئياً، بفعل العد بدون أدنى شك : تحصل "9" على -d البدائية من "lo" بدلا من -n الموروثة في اللغات البلطيقية والسلافية (قارن *devyni* الليتوانية والروسية *devyat*) ؛ وتؤثر "7" بـ "8"، وهكذا نجد في الاغريقية المتأخرة أن *hepta* تُغيّر *okto* إلى *chokto*، وفي الليثوانية تعطي *septyni* نهايتها إلى *astuo < astuoni* * (ساعدتها *devyni* بدون شك). ويقوم التضاد بدوره أيضاً : إذا ينتقل التقابل في اللاتينية *pre r(he) ndere* مقابل *reddere*، "يأخذ" مقابل "يعطي"، "يمرر إلى" ؛ *prendre* مقابل *rendre* في الفرنسية (الإنجليزية *render*) وبأنفية متساوية. وربما كان الصرف مجال البحث. حيث تملك كافة الضمائر الشخصية صيغة الجذر نفسه - *hep* في الفعل اليوناني "يتبع" على الرغم من أن **hetethe* و **hetetai* ستكون "نظامية" صوتياً. يجب أن يترك تحول /s/ إلى /r/ في اللاتينية بين الصوائت *honos* (الفاعلية)، *honris* (الإضافة)، إلا أن الأولى أصبحت *honor*. هناك قيود تمنع حدوث ذلك، وذلك صحيح؛ على سبيل المثال، الصوائت المحايدة القصيرة (حيث #--->os-) : وهكذا، نحصل على *tempus* و *genus*. ولكن في تلك المجموعة نفسها تعتبر *robur* "قوة الخشب" استثناءً لأنها فقط تشبه

arbor "شجرة" ؛ و *arbor* هي وحدها من غير الصوائت المحايدة التي تنشر صوتها الصائت /*ǝ0*/ القصير (نظامي في المقاطع الأخيرة قبل الأصوات المتوسطة) إلى تصريفها برمته (*arbōris*) الخ) - فقط لأنها تشبه *robur* في معناها. وتستند صيغة المفرد الإنجليزية الجديدة *pea* من "الجمع" المفترض على *peas(e)* على العلاقة، على سبيل المثال، بين *flea* و *fleas* ؛ وينقسم الثنائي القديم البسيط، صيغة المفرد *staff*، الجمع *staves* (قارن *leaves/leaf*) إلى صيغتين نظاميتين قياسيتين *staves - stave* و *staffs - staff* .

ولقد **زُعم** بعضهم أن قوانين التحول نظامية ولكن تحاول إيجاد صيغة للصراف غير النظامية، وأن القياس، على العكس من ذلك، هو قوة غير نظامية تحاول تحقيق الموازنة. إلا أن الحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك. فليس من الضروري أن تكون القوة المتعلقة بالربط المعجمي أقوى من تلك الموجودة في صنف الكلمة : لذا فإن صفات مثل *unfair* ، *unkind* تفرض البادئة *un-* في *uncivil* ، *unjust* ، رغم رفض الأسماء لها مثل *incivility* ، *injustice* . وعلى النمط الواضح من الأفعال الضعيفة (*waited - wait* ، *pleased - please*) أن بحث النمط كسي ينتشر (مثلما يفعل الأطفال عندما يقولون *goed*). إلا أن *wear* - *wearied* فسحت المجال لـ *wore - wear* قياساً على ، *tear - tore*. من الواضح أن هناك صيغة تناسبية (*a:a :: b:x*) تعمل كما أوضح ذلك هافت Havet عام 1875 لأول مرة ؛ ولكن من الواضح أيضاً أنه يجب وصل *a* بـ *b*، مثلما تصحح حالة الإضافة اللاتينية *senatus* على نحو *senati* أحياناً ، ليس بسبب (١) الصيغة الفاعلية ؛ الإضافة *populus* ؛ *populi* : *Senátus* : *senati* فقط ولكن أيضاً (٢) بسبب الازدواجية السياسية، و العبارة المقفاة السائدة *Senatus populusque Romanus*. يمكن للقياس أن يحفظ نمطاً سليماً، مثلما يحتفظ شكل الفعل في الماضي في اليونانية لاصفته *+a/* حتى بعد الصوائت، كما في *elusa* (ليس *†elua*) . ولكنه لا يفضل نتائج مبعثرة ولا يمنعها ؛ إنه عامل تطوري من الربط العقلي ولا يكثر فيما إذا كانت نتائجه تعقد الصراف أو تبسطه.

طور كريلويكز Kuryowicz ومانزك Manczak ما بين 1947 و 1980 فرضيات لإظهار كيف تؤثر الصيغ **بعضها البعض** بعضها ببعض، وفيما إذا كانت الصيغ المختلفة ذات

الوظيفة الواحدة تنقل من حيث العدد، أو يصبح الوسم أكثر أو أقل تعقيداً، وفيما إذا كانت صيغة قديمة أو صيغة قياسية أحدث منها ستصبح النسخة المعيارية، وهكذا دواليك. وُضحت هذه الأقوال ونقدت في هوك Hock (١٩٨٦: ٢١٠-٣٧) بشكل مستفيض. فهذه في الأصل محاولات لإظهار كيف يعمل القياس وليست تنبؤات عن وقت وقوعه أو عدمه، لأن ذلك يبقى ضرباً من الغموض. والتناسب عامل والاستخدام عامل آخر، وصدى الصوت عامل ثالث. وفي الواقع، لو أن بني الجمل كلها عبارة عن توسع لنمط أساسي مكون من اسم + مسند، عندئذ سيصبح علم التراكيب برمته مجرد قياس توسعي.

يظهر هذا النوع من عامل الربط العقلي أن اللغات وصيغها ليست ضرباً من العضوية الطبيعية، كما تم قول ذلك بقرة قد تحمس بعضهم ضد اللغويات الداروينية في القرن الماضي (راجع القسم الثالث). ومع ذلك، فإنه لشيء مشروع ومرحب به أن نضع قيماً علمياً واحداً على التأمل التاريخي، مستمداً من العالم الطبيعي وهو نفسه شرط مسبق للداروينية، وهو أن التغيرات الطبيعية، وبغض النظر عن قدمها، يجب أن تركز على أسباب يعتقد أنها ما تزال عاملة، لأنه لا يمكن للتغيرات وأسبابها في حالة تطورية أن تبقى مختلفة تماماً في حقبة مختلفة. ويعود الفضل في هذه البصيرة الفكرية عادة إلى الجيولوجي السير تشارلز ليل Sir Charles Lyell، الذي كان يكتب ما بين عام 1830 و 1833، إلا أن جيمس هتن James Hattan كانت لديه الفكرة نفسها عام ١٧٨٩. ولا يقل اللغويون كلهم، على أية حال، اللاتشابه الناتج عن مجرد تغيرات "مدمرة". وبالتأكيد، ربما لم يعد هناك أي لغوي يستطيع اعتناق فكرة التحولات الإعجازية.

٥ . الأشجار والعائلات

١ .٥ كيف يتم رسم الشجرة

هناك اختبار قضائي (حتى ولو بمعلومات خيالية) يمكن أن يوضح نقاطاً عديدة تتعلق بالمنهج بالنسبة لأولئك المهتمين بصياغة علاقات مألوفة من خلال إعادة تطبيق البناء المقارن. فلو كان لدينا مجموعة متشابهة منتظمة من صيغ عبر عدة لغات، لأمكننا بناء الشجرة العرقية وبمواجهة بعض الصعوبات التاريخية الأكثر شيوعاً في الوقت نفسه. ها هي مجموعة معلومات، تعرضها

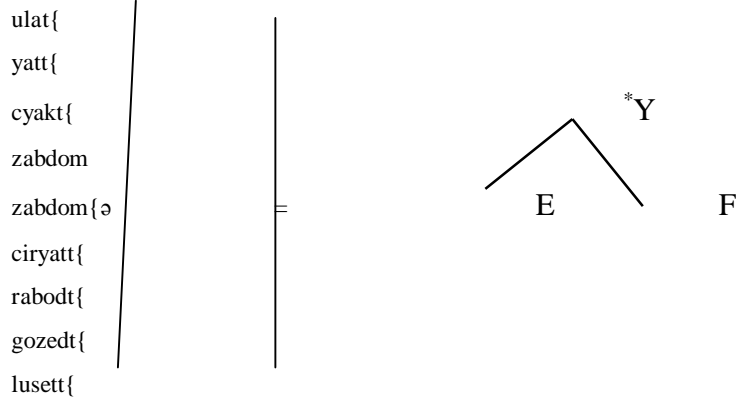
ست لغات مشتقة من عالم خيالي ولكنه ممكن (لنسميها رورتانيا Ruritania)، والتي تقترح إعادة بناء لغة أم انقرضت كان يسمى أصلها بـ الروتينية الأولى (الجدول ٢٠).

الجدول ٢٠.....

(من الممكن الافتراض أن قيمة البعد الزمني هي أكبر في صيغ الأعمدة الواقعة في اليسار منها في اليمين)

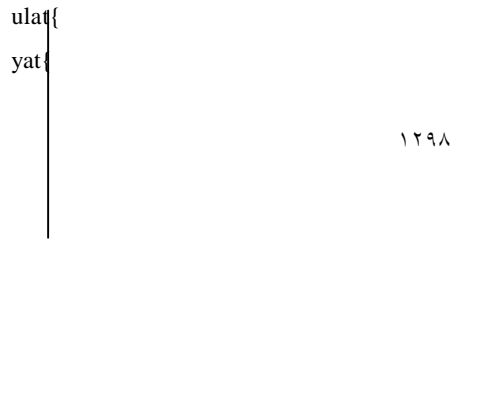
من الواضح أن E(rker) و F(rolig) تتقاسمان أشياء مشتركة، مثل القطعة الصوتية -C في "wise" حكيم، و "S" في "clever" ذكي و "z" في "يتكلمون"؛ ولذلك يمكن للمرء أن يفترض بنوع من العقلانية أن - إذا ما أخذنا التناظر بين Ciryat و yát/yatf في E - شكل F غير الموجود لـ "he writes" يكتب، سيكون على هيئة *ciryat. وعلى أية حال، لا يبدو أن هناك أية لغة تشبه E أو F أكثر مما يشبهان بعضهما بعضاً. وتحتوي F بمفردها على التماثل الشائع بين صامت وآخر بعد (bd > dd) "فوراً"؛ يمكن الوصول لهذه الحقيقة من خلال إعادة البناء الداخلي لو كان هناك أي ظرف مثل zabuda (قارن rabuda). وتظهر F أيضاً رفع الصوائت الوسطى (u,i < o,e). أما E فهي وحدها التي أضافت صفة "السنية" لأنفياها النهائية (m > n / - #)، ومن الجدير ملاحظته، أنها فقدت صوائتها النهائية (الترخيم). في حقيقة الأمر، لا بد أن تكون قد أجرت تلك العمليات في الترتيب الذي ذكرت عليه، ولا بد للتغير الأول أن يكون قد توقف قبل بداية التغير الثاني: لأن الصيغ (قارن C المشاهدة) zabdom و zabdoma وصلت إلى E بواسطة zabdon و zabdoma إلى zabdon و zabdom. وأن ترتيب الحوادث الأخرى سيعطي أولاً *zabdom* وبعدها *zabdon* لكلا الجنسين: وهكذا نجد هنا دليلاً على

تاريخ متواصل نسبياً. إن عدم القيام بالتحويلات في E و F - "توقيف التطور" كما يفعل المؤرخون، عادة، سيفضي إلى مجموعة صيغ معادة البناء مشتركة على النحو التالي:



والآن ما هي المكانة التي علينا أن نعطيها لتلك المجموعة ؛ أي ما هي: "Y" ؟ يجب أن تكون تركيبية أو صيغة نظرية واستكشافية، لأنها ليست حقيقية ؛ ولهذا ، فإنها "لغة أولية". ولكن إن لم تكن اللغة الروترنية الأولى كما يمكن أن يظهر فيما بعد، عندئذ، فمن الواضح أنها "لغة أولية فرعية"، وعلى هذا، فإنها تقدم الدليل بوصفها لغة مشروعة ولكنها مشتقة.

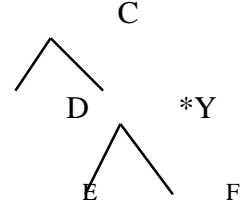
دعنا ننتقل إلى D(amuk) و C(opu). إن السمة الغريبة التي تتميز بها D(amuk) هي تحكيك [إضافة سمة الاحتكاكية] الصوامت b و d ولكن ليس g التي تقع في بداية الكلمة. ولكن تقدم *Y بمفردها الآن نسخة حنكية - احتكاكية من الصوامت غير - المجهورة مثل t و k (< c) لو أنها وقعت قبل i، أو y (وتلك سمة عامة في لغات العالم) بالإضافة لاحتكاك تضعه على s أو z لو أنها وقعت قبل e (ومرة أخرى، فذلك تأثير متكرر ناتج عن الصوامت "الأمامية"). ومرة أخرى، لو أوقفت (وبعين تراقب C) هذه التحويلات الواضحة ببساطة في *Y و *D كلها ورجعت ساعة التاريخ إلى الوراء، فإن كلاً من *Y و *D تصبح على النحو التالي:



tyak{
zabdom
zabdom{
kiryat{
rabod{
gozed
luset{

وهي C (ما عدا تلك الصيغة بمعنى "يكره" فقد تستنج استنتاجاً)

وهكذا -



- لأن $C/D \equiv C/Y * \equiv D/*Y$
(راجع القسم ٤, ٢).

أي تُرى C الآن على أنها "أم" لـ D و *Y. وليس من المدهش أن تكون لغة معروفة هي السلف للغة أعيد تركيبها: فاللاتينية، معروفة تماماً في صيغتها الكلاسيكية، وهي المصدر المباشر للأم المباشرة التي أعيد تركيبها أساساً لكل من الفرنسية، والإسبانية، والإيطالية وهكذا التي نسميها "الرومانسية الأم أو الأولى".

وكما أن A متميزة بوضوح في صيغها عن اللغات الرومانيّة الأخرى، فإن المقارنة التالية يجب أن تكون بين C (التي تضم الآن D و E و F) و B. ومن بين هذه الصيغ، تمتلك B الصوت h قبل الصوائت بوضوح، في حين يعطي باقي الدليل برتمه s، كما فعلت اليونانية القديمة تماماً. وكذلك، يبدو أنها خفضت الصوائت أيضاً (تحول الصائت i إلى e) قبل r كما في Keryate؛ ومرة أخرى، هذا هو الشيء الذي يتوقع المرء وجوده في مكان آخر من العالم. وبناء عليه، يمكن ترتيب B بشكل أكثر أناقة ودقة على النحو التالي:

ulate
yate
dyaki
*sapdom

*sapdomi

*kiriyate

rapoda

*gosedede

*luseti

"قبل B" =

إلا أن الفرع الذي ترأسه C قد تطور في عدة طرق أكثر جوهرية. ولقد كان أبسط تحول يعني بتغيير كافة الصوائت النهائية (التي شوهدت في A و B) إلى صيغة (i) التي تكاد لا تتميز. وإن كان الأمر كذلك، فسيكون من السهولة بمكان تبرير تغير في B من /{ إلى تنوع من صوائت مميزة (e,i,a) وإلى تنوع صدف وأنه نفسه حدث **نفسه** في A. ووفقاً لذلك يمكن إعادة كتابة "قبل C". أما معالجة أصوات الوقف في C فذلك أمرٌ أكثر تعقيداً. بينما تمتلك "قبل sed, pod" B، تمتلك C bod و zed، وهذا يعني أن الجهر يحدث من خلال تماثل مع صوت انفجاري لاحق (وليس بالضرورة ملاصق). وأكثر من ذلك، فمتى أصبحت pd على شكل bd كما في *sabdوم، تتحول السلسلة sabd إلى zabd (وذلك تأثير "دائري" ناتج عن قاعدة التحويل). وثالثاً تحتوي "قبل - B" على dyaki، في حين تعرض "قبل - C" الآن *tyaki وهذه معضلة أصعب وأدهى. هل تم تجاهل y تماماً (لخرد صوت انزلاقي)؟ ولو كان الأمر كذلك، سيكون هناك تماثل - جهري في C بين الصوائت (d < t قبل k)، ولكن التأثير معكوس الآن (هناك عدم جهري). أم أن y نفسها غير مجهورة في هذه اللغة، وعُودلت في قدرتها التماثلية بصوت وقف غير مهجور؟ أي من الحلين ممكن، ويمكن للدليل ألا يقدم قراراً واضحاً - وتلك حقيقة في الحياة معروفة للمقارنين التاريخيين.

إن تلخيص هذه التعديلات (أي: عدم إجراء التحويلات التي تميز B و C) يسمح لنا بإعادة بناء شكل الاتحاد الأصلي لـ "قبل-B" و "قبل-C" على النحو التالي:

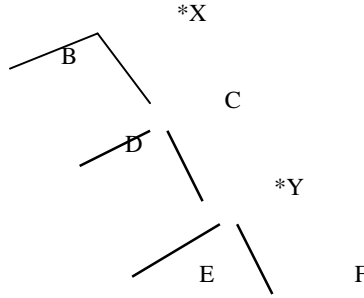
ulate - التي لا تشبه أية لغة معروفة، وتختلف بوضوح عن A

yate ولذلك يجب أن تكون مرة أخرى، لغة أولى - فرعية

dyaki أي: "X" (لغة "أولية" تستثني A)

sapdom
sapdomi
kiryate
rapoda
gosede
tuseh|useti

وبالتالي فإن شجرتنا تصبح على الشكل التالي :



نصل الآن إلى A(rgan) الغريبة. من المستحيل أن نقرر في أغلب الأحيان فيما إذا تحولت الصوائت العالية أساساً إلى أصوات متزقة (أي : i تصبح y) أو العكس : يبدو هنا أن تحولاً أو آخر قد حدث أولاً وبعد الصوامت. تخيل أن A تمثل مرحلة مبكرة جداً قبل أن تستقر المتزقات على هيئة نسخة صامتة (كما في *X وسليلاهما جميعاً) : عندئذ، تحتوي

$ia?ate$, و $diaki-$ و $kiriante$ على سلسلة صوائت أصلية (ia). أما بما يتعلق بتوزيع l و r فيبدو من الواضح أن كلا من A و *X، تمتلك كليهما : ولكن يجب شرح التباين بين $?urate$ و $ulate$ ، وربما كان الحل الأبسط في تصور أن r تتحول إلى l إذا وقعت بين الصوائت في لغة

A، وذلك سياق مقبول بالنسبة لـ r. وهذه الاستنتاجات، معقولة، وحتى محتملة، ولكنها بعيدة عن درجة اليقين: قد تكون الأمور سلكت الطريق المعاكس. ولكن من الواضح أن A مليئة أكثر، في سلاسل القطع الصوتية، من لغات مجموعة X - ففي "هو يرمي"، نجد أن a?a تمثل إجابة (فيما بعد؟) لـ a - أما في "هو يكره" نجد أن ? الأولى قد وازنتها لغة *X بالصف، وكذلك الأمر بالنسبة لـ ? النهائية في صيغة الصفات الأثوية. من الواضح أن حبساً حنجرياً يعمل كوحدة فونولوجية (وكذلك صرفية) لم يستطع مقاومة مرور الزمن بين A و *X (أو استطاع ذلك فقط بمعنى أن A محافظة للغاية): وبناء عليه يبدو أن التحول

-a->-aa->-a?a- في تاريخ *X أمرٌ معقولٌ. وهذا النوع من الأشياء معروف تماماً في اللغات السامية، ويقبله معظم الناس (وبتنوع شخصي فيما يتعلق بالتفاصيل) في الهندية - الأوروپية المبكرة كجزء من النظرية "الحنجرية المشهورة". (أما الحنجري "المفقود"، فقد أعطى سمات متنوعة ومختلفة من مقالة سوسير في ديسمبر ١٨٧٨ إلى يومنا هذا. يقولون أنه ربما كان صوتاً واحداً أو مجموعة من الأصوات قد تصل إلى اثني عشر صوتاً مختلفاً. والعديد يفضل مجرد ثلاثة أصوات. ربما يسبب جهر الصوامت أو يكسبها نفساً مسموعاً عند نطقها أو يطيل الصوامت و/أو "يلونها"، أو يتفاعل مع أنصاف الصوامت، وحتى أنه يترك "آثاراً" صامتية أو صائتية (على سبيل المثال في الحثية) .

وبعد هذه الاعتبارات يجب على صيغ A و *X غير المتطورة أن تندمج على النحو

التالي:

ulate

- و تمثل هذه في نهاية المطاف لغتنا الروريتانية الأولى، وبالتالي:

ia?ate

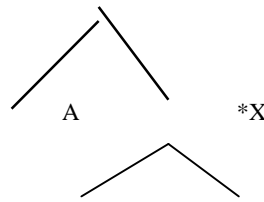
PR

diaki?

sapdom

Sapdomi?

kiriante



١٣٠٢

rapoda أو أنها مجموعة من الافتراضات يمكن تبريرها، ويمكننا

gosedo أن نبدأ منها والإدلاء ببيانات عامة حول الكثير

luseti? من صرف الروريثانية

لاحظ أنه من الواضح تماماً أن أصل a في كلمة في لغة X * يختلف تماماً عن e و u في اللغات الأخرى (حيث أنه ليس لدينا الدليل على أن الصائت الطويل لم يكن هناك طوال الوقت). وربما يظهر بناء "شجرة - ضخمة"، مبني على دليل عرقي أوسع، أن كافة الصوائت الطويلة الموجودة هنا هي ثانوية في الواقع، حتى ولو كانت العملية التي شكلتها حدثت قبل التاريخ في الروريثانية. و أيضاً لا يمكننا أن نعرف تماماً ماذا كان يحدث في مزمار متكلمي الروريثانية الأم عند النقاط المَعلمة بـ "?". لقد تم استخلاص الدليل من كافة الاستنتاجات المشروعة، ويمكن لأي إنسان أن يضع جرداً فونولوجياً للغة الأم بناءً على هذه الاستنتاجات. وأكثر من ذلك، فعلى الرغم من أننا استبعدنا التغييرات المتعلقة بالمعنى وتجاهلنا عامل نبر - الكلمة المهم، ورتبنا المادة في صالح الحل الأخف وطأة، فإن ذلك سمح بومضات عن التوقيت النسبي، والتطور الدائري، والقيود الموضوعية (الموقعية)، والفجوات، والاحتمالية الصوتية، وتفسيرات متناقضة حول التحولات. وترك لنا فضلة من النقاط غير المحلولة. ويمثل ذلك شريحة نموذجية/معهودة صغيرة من تجربة عالم فقه اللغة المقارن المستمرة.

٥. ٢ بعض العائلات المعروفة

تستحق بعض العائلات اللغوية المشهورة النظر فيها، ولكن لا ينبغي على أي إنسان أن يصدق أن تفرعاتها هي موضع موافقة عامة أو دائمة، أو حتى عندما تكتشف لغة على صلة بالعائلة، يمكن وضعها في مكانها الصحيح في السلالة بدون جدال. والأشكال من 47-49 ليست نهائية وهي مجرد أمثلة في أحسن الأحوال .

الشكل ٤٧

الشكل ٤٧

إن البعد العرقي بين الفنلندية والمغارية جدير بالملاحظة، وكذلك الرابط الواهي مع التركية.

١٣٠٤

(وتظهر كمية من الألواح وصلت إلى 5000 لوح تقريباً- وقد اكتشف عام 1968 و 1974 في إيبلا قرب حلب - لغة غير معروفة مسبقاً ولكنها لغة سامية قديمة جداً. يضعها البعض في الفرع الشمالي الغربي السامي، وبالتحديد كصيغة أقدم من الكنعانية، في حين يؤكد الآخرون أن صرفها يتفق أكثر مع كونها الأكادية القديمة، أي تنتمي إلى السامية الشرقية. وذلك خلاف ليس بغريب أو عجيب).

كلمة *bad* لها الصيغة نفسها والمعنى نفسه في كلتا اللغتين، وكذلك الأمر بالنسبة للهنغارية التي لا علاقة لها بالإنجليزية إذ فيها كلمة *juh* (مثل الإنجليزية *ewe* في الصوت والمعنى). إلا أن حجماً من الصيغ ذات الأصل الواحد (خاصة في الجانب الصرفي حيث نجد مقاطع بكاملها أو زوائد صرفية متشابهة)، أو أن أنماط تراكيب قواعدية متوازية بشكل واضح، قد دفعت البعض مؤخراً لربط العائلة الهندية - الأوروبية بالمجموعة القوقازية الجنوبية (الكارتفيلانية). واستغل آخرون بشكل مشابه التشابه المعجمي (المفردات) بين السامية - الهندية - الأوروبية لهذا الغرض. وقام أحدهم (اليش سيفنتش Illic - Svityc، ١٩٧١ و ١٩٧٦) بتوفيق الفونولوجيا فيما بين اللغات الهندية - الأوروبية، والسامية، والكارتافالينية، والأورالية والدرافيدية. وقد قام (بومهارد Bomhard ١٩٨٤) بإضافة النظرة الجديدة التي أعطاها المحللون الراديكاليون الحديثون لمجموعة أصوات الوقف في الهندية - الأوروبية الأم (راجع القسم ٧. ٢ لاحقاً) إلى التشابهات بين المفردات في محاولة لربط كافة العائلات الهندية الأوروبية والأفريقية الآسيوية معاً. ولقد سمى هولجر بيدرس Holger pedersen كل هذا بالبحث عن لغة "عليا متشعبة". وينبثق هذا المفهوم من اعتقاد في "التشعب الأعلى" وهو نمط فكري سائد الآن.

٦. أسباب التغيير

إن سبب تغير اللغة معقد وغامض. وذكر جاكوب بريدسدورف Jacob Bredsdorff في عام ١٨٢١ سبعة أسباب أربعة منها كانت إما عشوائية أو شخصية (الرغبة في التميز، وسوء السمع، والذاكرة الضعيفة وأعضاء نطق غير كاملة)؛ وسبب آخر هو القياس، الذي أشرنا إليه أنفاً (القسم 1.4.4) أما السببان الآخران فهما الكسل (بشكل أساسي، يحتفظ المتكلمون بالمفردات متميزة بأدى حد ممكن من عدم التشابه، وبالتالي تميل السمات غير - الضرورية لعدم استقطاب أي انتباه) والحاجة الوظيفية المستجدة (تؤدي إلى الابتكار الحقيقي للإشكال، الذي كان معروفاً، مثلاً، عندما اخترع الشاعر ميلتون Milton كلمة *sensuous* لتحل محل كلمة *sensual*، التي طورت ظللاً معنوية غير - رقيقة). ولقد طور جورج زيف George Zipf (بين 1929 و 1949) عامل الكسل أو "الجهد الأقل" إلى حساب تفاضلي إيجابي وسلي لاستقرار أصوات الكلام، حيث تستطيع أكثر الأصوات وروداً طرح أو نبذ السمات وتقليل الجهد

النطقي، في حين تحتفظ بها الأصوات المتوسطة، على أن الأصوات الأقل وروداً تحاول زيادتها **مساعدة لتساعد على التمييز أو الإدراك إدارتها**.

إن تأثير التعايش المتجاور بين اللغات جزءٌ من الجغرافيا/الإقليميات (تألف). وقد اعتبرت التحولات و"المؤمرات" بأنها ظواهر احتمالية. ولذلك يعتبر التأثير التسلسلي للتغيرات، وبغض النظر عن سببه الأول أمراً سخيلاً نظرياً (رغم أنه كان هناك جدل فيما إذا كانت هناك عناصر، لنقل، في نظام الصوائت "تدفع" أخرى إلى موقع نطق مختلف من خلال الاقتراب إليها من خلال الشكل أو أنها "تجذب" أخرى إلى فجوة في النظام سببها تحركها الخاص بها). إلا أنه تم عرض تفسيرات أكثر حركية أو دينامية حول التغيير. هناك ثلاثة أنواع بشكل عام: (١) دافع القواعد والوظائف: (٢) ومفاهيم القوى الصوتية (٣) والدافع الاجتماعي.

ووفق وجهة النظر الأولى، التي كانت سائدة بشكل رئيسي بين 1969 و 1975 أو نحو ذلك، فإن قواعد كفاءة المتكلم العقلية التي يتم من خلالها اشتقاق صيغ الكلمات أو تنوع القيم الصوتية يمكن تحويلها في الترتيب التطبيقي، أو أن تضع أو تُفهم. وستأخذ النتيجة شكل قواعد جديدة أو فونولوجيا جديدة في السياق. ومن هنا، فإنه لا يمكن تمييز البيانات الخاصة بالتحولات، إذا ما صيغت بشكل مناسب، عن القواعد المذكورة في كتاب للقواعد، **وأين وإن** تشابه **الاشتقاق الأثني** سيمنح كلاهما درجة من المصادقية.

وعلاوة على ذلك، فقد قيل **أنه** إنه قد ينتج عن التبدلات في تسلسل (أو وجود) القواعد **خرَج** يجعل البيانات الخاصة بالقواعد أو إقرارها أمراً مبهماً أو عويصاً: حيث يمكن لتحويل ألا يحدث عندما يُتوقع حدوثه لأن القاعدة فارغة أو يمكنها أن تحدث في الوقت الذي "ينبغي" فيه ألا تحدث. وبعد فترة يقبل فيها المتكلمون درجات مختلفة من التغيير في صيغ لغتهم أو الصرف الشاذ (أو حتى في علم التراكيب) ناشئة عن أنواع من الخرج متنوعة من القوانين الاشتقاقية، وربما تأتي لحظة حاسمة تُستعاد فيها "وبشكل درامي" الشفافية المفقودة من خلال تغيير شامل. وهذا المفهوم قريب من مفهوم التغيير التمزقي/الفوضوي الذي يُعتبر **هو** بأنه المعيار؛ لكن لا يرى الجميع هذا الأمر على هذا النحو. وقد **اقترح** اقترح بعضهم مفهوماً **عويصاً/غامضاً ممنوع** نوع مختلف بوصفه مصدرًا للتطور التركيبي؛ **من قبيل أولئك الذين هو** لاء

يعتقدون أنه من الممكن والمثمر أن نؤسس ليس مجرد الفرق بين الممثلين والأحداث (عامية بين الأسماء والأفعال) ولكن أيضاً بين الأفعال و"الفاعلين" و"المفاعيل" في الجمل، وذلك فرع حساس للغاية من التحليل (راجع لاحقاً. القسم ٧، ١). وتحاول نظرية أكثر دقة، ترفض التصديعات الحادة من ذلك النوع، أن تشرح التغيير الصرفي النحوي - التحدي الحالي - من خلال الرجوع بأصول المفردات التي تدخل في قواعد الصرف إلى وجود أسبق كعناصر أكثر استقلالية. قد تبدأ العناصر على هيئة كلمات كاملة، خاضعة للربط الدلالي وقواعد التركيب المعجمي (المفرداتي)، وبعد ذلك تعاني من تغير في المعنى، وتصبح كلمات مقيدة ومن ثم مجرد زوائد، تعبر عن تغير في صنف الكلمة (مثل الإنجليزية <like> أو مكانة صيغة الماضي أو الأفعال المساعدة في النظام الفعلي (مثل الإنجليزية <ve أو علامة المستقبل في - الانتحاء [جعل المورفيم الحر مورفيماً مقيداً]. وهناك ~~البعض الآخر~~ آخرون يناقشون بثبات عن حالات من التغيير المعاكس، أي من الكلمات المقيدة نحو كلمات كاملة، على سبيل المثال.

ويتمثل النمط الثاني الأساسي من الشرح في نوع من "الفونولوجيا الطبيعية" تأصلت عند موريس غرامونت Maurice Grammont (1895 و ١٩٣٣) وأدت إلى عدة مقالات صوتية حول "القوة" النسبية - أي : مقدرة الصوت على عدم التغيير في حين أنه يغير الأصوات المجاورة في الكلمات والعبارات. يمكن للحساب التفاضلي أن يكون بين الصوامت، والصوائت، والصوائت الثنائية أو بين الأصوات الطبقية والأصوات الشفوية أو بين أصوات الوقف والاحتكاكيات، وهكذا دواليك. وكانت هناك فرضيات مرافقة، توضح ما ينطوي عليه "الإضعاف" وكيف يتم تعزيزه - وكيف يمكن إظهاره في مرحلة محددة أو معينة من مراحل اللغة بدلاً من أن يكون تسويغاً لأحداث حدثت ومضت في التاريخ. وشاع هذا النوع من الدراسات في السبعينيات من هذا القرن. راجع فولي Foley (1977)، ~~والعديد~~ وعدداً من المساهمات في مقتطفات ستوكويل ومكاولي Stockwell & Macaulay (1972).

ثالثاً، يصير للبعضهم بحزم على أساس اجتماعي وضبط لكافة أنواع التغيير اللغوي تقريباً. وتوضح حلقة بوزنان Poznan العلمية عام 1983 حول اللغويات الاجتماعية (راجع تراجوت وروماني Tragott و Romaine 1985) منهجاً منظماً لدراسة التاريخ من هذه الزاوية. ويدعى البعض بعضهم أنه عندما تكون أوامر المتكلمين بمجموعة اجتماعية معينة ضعيفة، فإنه من المحتمل أن تتغير لغتهم بسرعة (ولكن ربما بدرجة ثبات أقل)؛ وقد اعتنق آخرون منذ زمن بعيد فكرة التغيير الذي يعتمد المحاكاة، حيث يقلد المتكلمون أو ينسخون صيغ أولئك الأشخاص أو المجموعات التي يرغبون أن ينضموا إليها أو يقلدوها. وتعتمد نظرية وليام لايوف William Labov (والعديد من المتعاونين معه والناصحين له) على اعتقاد أن هناك حجماً من عدم الانسجام الطبيعي المسموح به في كلام أي مجموعة سكانية، بغض النظر عن الأسباب المحلية (المكانية). أما الجوانب الأكثر "تجريدية" في اللغة والتي تشكل أساس قواعدها وفهمها الدلالي، فستكون غاية في الاتساق؛ أما في المستويات الأدنى من الفونولوجيا وتشكيل العبارات، فإن الفروقات، طالما أنها لا تدمر درجة الفهم والاستيعاب، تأخذ شكل تغييرات منتظمة. وقد ساعدت المسوحات الاجتماعية (خاصة في فيلادلفيا في 1980) على تأسيس قيود تنظيم اللانظامي، وتحديد طرقه، ونجاحه وتقييمه الاجتماعي وقبوله. ويوجد في الفصل الرابع عشر أنفاً ملاحظات وثيقة الصلة بهذا التفاعل بين الحاضر والماضي.

٧. مواضيع خلافية حالية

يوجه الاهتمام دائماً نحو تلك الجوانب من تاريخ اللغة التي توظف مناهج البحث؛ وأسباب التغيير وضوابطه، ودور الفعالية أو المقدرة التخاطبية، وأسباب الجمع والتفريق بين المجموعات الكلامية سواء كانت إقليميه أو اجتماعية. وقد لوحظت هذه (راجع أنفاً القسم 5 و 6) بالإضافة إلى النزعة الواضحة لدى لغات معينة إلى نزع المعنى المعجمي من الكلمات الحرة وطبعها كفتنة جديدة أو اسماء فنوية في القواعد. ومع ذلك، فإن حقول البحث المتخصصة الحديثة التالية تستحق دراسة مستقلة.

١.٧ تاريخ علم التراكيب/النحو

طغت الفونولوجيا على الدراسة التاريخية في القرن الماضي وحتى السنوات الأولى من هذا القرن (وبعض الاستثناءات الملحوظة مثل عمل بيرثولد دلبروك (Berthold Delbruck) . أما مؤخراً، فقد وسعت دراسات الآلية النحوية الموجودة في أزمان مختلفة مداركنا حول كيفية ظهور الأفعال المساعدة وكيف استُغلت، وكيف تطورت حروف الجر عن طريق الظروف، وكيفية معالجة استخدامات العناصر التي تأتي قبل الاسم والعناصر التي تأتي قبل الفعل وبعده . وهكذا دواليك. وقد تحقق بعض التقدم عبر اللغات بمساعدة قوانين مرشدة مثل قانون فاكنر-نجل Wackernagel، الذي يدعي أن موقع روابط - الجملة الموصولة بما قبلها (أو الضمائر أو الظروف التخاطبية) يتخذ بشكلٍ طبيعي وعالمي الموقع الثاني في الجملة. وحصلت النظريات حول النسق اللفظي/الكلامي على تشجيع من السمات العالمية التي صاغها جوزيف غرينبرج Joseph Greenberg (1966، قارن 1978، المجلد 4) فيما يتعلق بالموقع النسبي للعبارة الاسمية الخاصة بالفاعل والمفعول به والأفعال الرئيسية. ويمكن الادعاء بأن سلاسل VSO (فاعل - مفعول به) و SOV (فاعل - مفعول به - فعل) قد تُبهم الحدود بين العبارات الاسمية المتجاورة في علاقات قواعدية مختلفة أو تعتمد بشكلٍ مفرط على اسماء الحالة أو وسائل وسم أخرى معرضة للتلاشي، عندما يمكن التنبؤ بتحويل إلى هيئة أو شكل آخر ؛ وعندما يحدث ذلك (على سبيل المثال < SVO)، فيمكن للجميلات التابعة وأفعالها أن تصطدم بالأفعال الرئيسية إن لم تُمنح قسماً أكبر من الانفصالية من خلال وسائل المعلمة الوصلية وما شابهها. وخضعت البنى المعنوية، والمراحل التاريخية المقترضة، وربط الظواهر (على سبيل المثال، تقتض وتتم الأنظمة التي يقع الفعل فيها في نهاية الجملة وجود واصفات اسمية تقع على يسار رأسها الاسمي، وحروف جر تتبع اسم المجرور بدلاً من أن تسبقه) - وحتى الافتراض الهام في أن اللغات ستكون ثابتة ومنتظمة في التوفيق بين كل الاستتباع والمضامين - كان ذلك موضع شك دائم لأسباب عملية وتجريبية (راجع الفصل 9 أنفاً، وخاصة هو كتر 1983).

يفرق تمييز أكثر أهمية بين أنماط علم التراكييب ، قبل أي شيء، بين "التعليم الحركي" لا "الساكن" للفاعل في الخطاب في العملية المذكورة آنفاً. أي : إننا نتكلم في جملة أساسية، بداية، عن كينونة مسماة (يمكن القول **أفـ** إنها موجودة) تدخل في إسناد ما (يمكن القول عنه بأنه صحيح أو غير صحيح). وبعد ذلك يمكن للفعل (الذي ينقل الإسناد) أن يضم الاسم (الذي ينقل الكينونة) في حالة العمل (يركض جون، وضرب جون بيل) أو في مجرد حالة سكون (يرتجف جون، ويشبهك جون). ومتى دخلت كينونة أخرى - مثل أنت و بيل ، كمتلقين أساسيين لعمل الفعل، عندئذ، يبدو أن القوة الرئيسية لعلم التراكييب تتحول إلى التمييز بين الأدوار، أو المبني للمعلوم والمبني للمجهول للعبارتين الاسميتين الأساسيتين. ويمكن فعل ذلك، بوسم خاص لمصدر العمل فقط، (وعندما ترد العبارة الاسميتان فقط) أو بوسم خاص للعنصر الذي وقع عليه الفعل فقط. ويسمى هذان الحلان (وهناك إمكانيات أخرى عديدة وتنوعات متعددة موجودة، في الواقع، في العالم) بـ استراتيجيات "التوافق ق" [شتركة مفعول الفعل المتعدي وفاعل الفعل اللازم في حالة اسمية **واحدة**] و"المفعولية" على التوالي ؛ ويعرف هذا الذي ذكر أولاً بالنمط التوافقي. من الواضح هنا، أن هناك قدراً من المجال لنظريات الحركة التاريخية بين الأنماط، خاصة وأن النمط "التوافقي" نادرٌ وأثري (وتمثل غوراني Guarani، ولهاكوتا Lhakota وربما نافاهو Navaho في أصقاع مختلفة من أمريكا وربما اللغة الاسهينية في سومطرة بعضاً من بين معاقله المعاصرة أو الحديثة) ومحدود في قدرته على معالجة تنوع الجملة بما يتعلق بالمسند إليه والتقديم الموضوعي ؛ وبناءً على ذلك فإنه يبدو أنه يمثل مرحلة مبكرة نسبياً. أما النسخة التوافقية (رغم انتشارها الواسع من الآسكا إلى شمال اسبانيا، ومن جورجيا إلى استراليا) فنادرٌ ما توجد في صيغة صافية نقية في مكان ما ويبدو أنها غير مستقرة بشكل متجذر فيها ؛ ومرة أخرى، تبدو وكأنها تمثل نقطة **مخارطة-مغادرة** لا نقطة وصول. إلا أن هناك أصواتاً معارضة، والبحث جار على قدم وساق.

٧.٢ اللجوء إلى علم التصنيف

قد يعنى ما هو موجود عالمياً في اللغة بسمتان السمات العالمية الموجودة في اللغة قد تخص سمات معينة لا مناص **عمنها** (مثل طرق وسم الإشارة إلى المتكلم كصيغة مميزة عن الإشارة إلى

السامع) أو بعض السمات المميزة للقواعد (مثل مفهوم أن شكلاً يشتق من آخر، أو أن عنصراً "يحكمه" آخر). وهذه الأشياء هي سخافات بالنسبة للتاريخ. ولكن قد تنطوي "العالميات" على حالات استلزام: فلو امتلكت لغة السمة P (وليس Q)، فإنها ستمتلك دائماً السمة X (وليس Y). أما أن تنتمي إلى مجموعة P أو مجموعة Q فذلك جزء من صورتها التصنيفية. ربما كان تصريح رومان ياكسون Roman Jackboson (في أو سلو عام 1957) أعظم حافز مؤثر بالنسبة للمؤرخين للتفكير من منظور تصنيفي في هذا النمط من التضمن. فقد صرح أن النظام الصامت الذي يعاد بناؤه تقليدياً للغة الهندية - الأوروبية الأصل - من خلال إدخال صوت احتكاكي حر وصوت وقف - احتكاكي مجهور - ولكن بدون أصوات احتكاكية - غير مجهورة - مع تقابل مجهور/غير مجهور بالنسبة لأصوات الوقف النقية، هو عبارة عن شذوذ واضح ضمن معايير تصنيفية. فلا يمكن تبرير مثل ذلك النظام عملياً (على الرغم من وجود بعض الدلائل في أنه ليس فريداً، حيث يظهر في كيبلايت kelabit وهي لغة موجودة في برونوي). وأخذت النتيجة شكل حساسية متزايدة جزئياً من طرف المؤرخين إلى حطّ "الأساليب التأملية المستخدمة في دراسة الماضي" (أو موقف دفاعي ضد المبالغة في تصنيف تأسيس اللغات "الأم" التي هي مجرد مجموعات من صيغ يمثل كل منها بمفرده وبطريقته الخاصة أفضل بداية معقولة للتغير العقلاني إلى الصيغة الهامة (ذات الصلة) في اللغات المتنوعة المعروفة). ولكن كان هناك زخم قوي لمراجعة هذه الحالة بعينها، حالة النظام الصامت في اللغة الهندية - الأوروبية الأم. ونجد هنا أن العديد من العلماء قد طور (متبنين اقتراحات أدلى بها هودريكورت Houdricourt عام 1948 ومارتنيه Martinet عام 1953) نسخاً جديدة تماماً من هذا النظام، حيث أخذ العنصر المشترك بينهما (وغير هذا بما فيه الكفاية) شكل سلسلة من أصوات وقف - قذفية - مزمارية - غير مجهورة (راجع الفصل الأول آنفاً) لتحل محل التنوع الجهور الواضح التقليدي. ولا تحب أصوات الوقف هذه أن تكون قريبة من بعضها كثيراً (قيل) إنها تحصل على سمة الجهر عادة. وقد طبق هذه الرؤية الجديدة أولئك الذين يعملون على تأسيس لغة "شافية"، وأولئك الذين يقرون ببعض أنماط الصوامت المعلمة بسمة "الانحسارية/ التراجعية"، وأولئك المختارون بصرف الهندية الأوروبية وقيودها العجيبة على وجود الصوامت، وبعض من أولئك الذين يتصورون طبقة واسعة من التأثيرات المزمارية في الهندية - الأوروبية من أصل

صامت "حنجري" مفقود. إلا أنها لاقت معارضة شرسة من الباحثين الأكثر تحفظاً، ويرجع السبب في ذلك إلى القيم الصوتية الدقيقة التي وجدت والوسائل المحددة التي عُرضت لمعالجة الصعوبات القديمة وليس لأن الإلهام القديم ربما لا يمكن تحديه.

٧.٣ البحث عن أصول جغرافية

يبقى حقل دراسة المجتمع والمنطقة الجغرافية للناس الذين يفترض **المفترض** أنهم تكلموا اللغة الأم معادة التركيب حقل دراسة جذاب. ولا يوجد ما يستحق الذكر إلا في أرض الهندية - الأوروبية الخصبة، وحتى هناك فإن الموضوع الأساسي هو تحديد الموقع الأصلي للغة. واقترح جيسنر Gesner عام 1555 أن اللغات برمتها انحدرت من اليهودية/العبرانية، وتتبع العديد من المتأملين التابعين "علم التكوين الوراثي - الإنساني اللغوي" بحثاً عن جذور، واقترحت **دزينة** أماكن أو نحو ذلك على أنها موطن الهندية - الأوروبية الأم. وباستثناء التخمينات التي لا أساس لها (من الصوتيات) المتعلقة بفيزيولوجيا الهنود الأوربيين القدامى، فإن أسماء النباتات والحيوانات وأنماط الاستقرار والشعائر الدينية قد اشتقت من جذور معمجة واسعة الاستخدام والانتشار. أما إن كانت الكلمات الدالة على شجرة السوراق أو سمك السلمون تعني حقاً نمطاً واحداً من الأشجار أو نوعاً من الأسماك فذلك أمرٌ مشكوك فيه، كما هو الأمر كذلك بالنسبة للحقائق الفيزيائية وراء الكلمات المتعلقة بالقرى أو الأرض أو الآلهة؛ إلا أن نقطة البداية قد حُددت، رغم ذلك، في الهند، وآسيا، وجنوب روسيا، واسكندنافيا - وليتوانيا، وهنغاريا، وشمال ألمانيا وإفريقيا (مع تجاهل بعض الأفكار الأكثر غرابة).

وحتى البحث المحصور في البحث عن منطقة ما حيث كان متكلمو اللغات الهندية - الأوروبية متجانسون لآخر مرة - وهو الموقع قبل وقوع التشتت الأخير - لم يسفر عن حل متفق عليه بحلول 1980 أو نحو ذلك. وكان الضوء مسلطاً منذ عام 1956 على الإدعاء (الذي أدلى به ماريجا غيمبوتاس (Marija Gimbutas)) في أن الحضارة الرعوية البطريكية المعروفة بحضارة كورجان - والمعروفة حقاؤها من الحفريات، والتي أخذ **للمأخوذ** اسمها من الكلمة الروسية التي تعني "ركام تراب الدفن" - قد غطت كل أوروبا ما عدا مناطقها الغربية **جداً** البعيدة في

الألفين الخامس والثالث قبل الميلاد، وضمت مجموعة اللغة الهندية - الأوروبية الأم بين ثناياها. ويبدو أن مصدرها هو حوض الدانوب - الفولغا، ويضم ممرها منطقة البحر الأسود (جنوب البحر الأسود). وكان مجتمعها بطريكيا، واقتصادها رعوياً، ومنازلها أكواخ صغيرة، وزعيم ألفتها إله سماوي (راجع الفصل 13 آنفاً). ورأى بعضهم أن الموطن الصحيح يقع إلى الشرق قليلاً (شمال القوقاز - الفولغا الأدنى)، على الأقل حتى الألف الرابع قبل الميلاد.

ومنذ عام 1972 (وبشكل أكثر كثافة منذ 1980)، فإن نقاط التشابه اللغوية - والوظيفية بين الهندية - الأوروبية والعائلات القوقازية الجنوبية، ومعضلة السيطرة الحتية طويلة الأمد على وسط الأناضول وليس في أي مكان آخر، وسيطرة المفردات المعجمية المشتركة بين اللغات (على سبيل المثال، الكلمات التي تعني "ماعز"، و"أرض"،) دفعت كل هذه العوامل غير الأثرية أساساً بالعالمين الروسيين غامكرليدز Gamkrelidze وايفانوف Ivanov لتقدم اقتراح حل مزدوج (منذ عام 1980 ؛ راجع الآن 1984,1985). فبالنسبة لهما، لا يمثل موقع - الفولجا - البحر الأسود سوى محطة قفز للموجه الأخيرة من الحركات المتنوعة التي قسمت العائلة الهندية الأوروبية إلى البلطيقيين، والسلاف، والكيلتين، والجرمانين والإيطالين أيضاً. وثانياً، كان هؤلاء كتلة واحدة في وقت أقدم، حتى ولو كانت ثانوية، قطنت مواقع في جنوب آسيا في الألفين الثالث والرابع قبل الميلاد وكان موطنها محاطاً بشرق تركيا، وشمال العراق وجنوب القوقاز - وهي حضارة فان أو ربما Van-Urima. وتقاسموا هذه المنطقة مع الحتيين الذين انتقلوا إلى الغرب قليلاً، والارمن الذين تحولوا شرقاً، والهنود و ~~الإيرانيين~~ الإيرانيين الذين انتقلوا نحو الجنوب والشرق، والهلينيين الذين ازدهروا بعدئذ (في موجات متعاقبة نحو الغرب) في وسط غرب الأناضول والشريط الساحلي في آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان (مع ساحل بحر إيجه والجزر الواقعة في الطريق) والتي نعرفها الآن ببلاد اليونان. وترتكز وجهة النظر هذه جزئياً على نظام الهندية - الأوروبية الأم الصامي الجديد الموجود في مجلد غامكرليدز وايفانوف الأول. ومع ذلك، وبما أن الاستباعات تفضي إلى أن الأنظمة الفونولوجية هي محافظة عند الشعوب الجرمانية المهاجرة وعند الأرمن الأكثر سكوناً وثباتاً (وبالتالي يمكن اعتبارهما هامشيين) وأن اللغات السلافية والكلتية والإيطالية مبدعة ومركزية، فإن الأفكار المقبولة قد أقيمت في

خضم من الارتباك والتشوش، وبالإضافة إلى ذلك، لم نحصل على نظرية ثابتة جديدة. وأكثر من ذلك، فإن هذه لا تمثل نظرية سوفيتية؛ حيث يُعتبر أ.ب-داكونوف I.B. D'iakonov (1982-1985) أكثر المنتقدين والمشككين في هذه النظرية، ويشك أيضاً بـ Worter und Sachen التي تشير إلى موطن بلقاني - كارباتي، مكان ما في رومانيا الحديثة وبلغاريا. وأما غيمبوتاس (1985: 188) فهو متأكد أن الموجة الهامة المفترضة عبر القوقاز وإلى الشمال (البحر الأسود) "يمكن أن تكون قد تمت بالعكس تماماً". ويستمر الجدل: ويعتقد رينفرو (1987) Renfrew أنه يمكن للحفريات الأثرية أن تدعم فرضية أكثر قبولاً ومصداقية (على سبيل المثال، نعتبر أن اليونانيين والكلتيك هم الآن في موطنهم الأصلي، ولكن يُنظر إليهم على أنهم نتاج التوسع الزراعي منذ بداية الزراعة في شرق الأناضول قبل 6000 قبل الميلاد). ويراجع مالروي Mallory (1989)، خاصة الفصول 6-8) دليلاً سابقاً بشكل انتقادي، وينادي بمنطقة أكبر من القوقاز إلى البحر الأسود.

٧. ٤ اكتشافات حديثة

أعطى سزيميري Szemerényi (1985)، بالنسبة للهندية الأوروبية، ملخصاً مفيداً عن تلك الجوانب التي كانت فيها الفرضيات مؤخراً واسعة الانتشار والتي لاقت فيها بعض التعديلات الجذرية بعض القبول. أما تلك الجوانب فتضم، التنبير (وخاصة في الجداول الصرفية)، وجنس الاسم، والهيئة الفعلية والصيغة الزمنية، وإمكانية أن تكون اللغة الهندية - الأوروبية "توافقية" إلى حد ما في نحوها. وقد لوحظ تغير النسق اللفظي من فاعل - مفعول به - فعل إلى فاعل - فعل - مفعول به، راجع أنفاً (القسم 1.7) وقد كان ذلك حافزاً إلى ظهور العديد من المقالات حول تطور الواصفات التركيبية والتراكيب. ومن الناحية الأخرى، فقد تم التخلي منذ أكثر من عقدين من الزمن عن المفهوم القائل بأن التاريخ الدقيق لتوزع وتبعثر اللغات الأول يمكن حسابه من درجة فقدانها للأشكال المتقاربة في المفردات الأساسية. ويمثل هذا التأريخ المزمري مثلاً جيداً عن فكرة ذات نظير علمي معقول (حساب العمر من كمية إعادة النيتروجين من نظير "الكربون 14" منذ موت الكائن الحي) الذي تمتع بفترته الذهبية، ولكنه برهن بنفسه أنه صعب

التطبيق ونتائجه تثير الشك أو لا يمكن الاعتماد عليها لدرجة أنه لم يستطع الحفاظ على درجة حماسة العلماء نحوه. إلا أن البحوث الحديثة بعثت فيه قليلاً من الروح ووصلته بمتغير المسافة المكانية والتجمعات الفرعية وخاصة في مايكرونيزا.

وقد ذكرت العائلات الأخرى، وكل لديها بعض التقدم لترويه ؛ وكذلك لدى طلاب اللغات الهندية - الأمريكية، ومجموعة اللغات الدرافيدية، ولغات أفريقيا والشرق الأقصى (الصينية - التيبية). ويجب البحث عنها في مجلداتها نفسها والكتابات عنها ؛ إلا أن المبادئ الأساسية ومناهج البحث هي تلك التي وضحت أنفاً.

المراجع/REFERENCES

The chapter in this volume by Bernard Comrie should be consulted alongside this one.

General guidance on methods will be found in the items asterisked below and in the list of 'Further Reading'.

Bomhard, A. R. (1984) *Toward Proto-nostratic: a new beginning in the reconstruction of Proto-Indo-European*, Current Issues in Linguistic Theory, 27. . Benjamins, Amsterdam & Philadelphia

*Bynon, T. (1977) *Historical Linguistics*, Cambridge University Press, Cambridge

Bynon, T. and Palemer, F. R. (1986) *Studies in the history of Western linguistics*, Cambridge University Press, Cambridge.

Collinge, N. E. (1985) *The Laws of Indo-European*, Current Issues in Linguistic Theory, 35. Benjamins, Amsterdam & Philadelphia.

Ellis, J. (1966) *Towards a general comparative linguistics*, Mouton, The Hague.

Foley, J. (1977) *Foundation of theoretical phonology*, Cambridge University Press, Cambridge.

- Gamkrelidze, T. V. and Ivanov, V. V. (1984) *Indoevropskij jazyk I indo-evropejcy* (2 vols.) Isdatel'stvo Univ., Tbilisi. (English translation by Johanna Nichols expected.)
- Gamkrelidze, T. V. and Ivanov, V. V. (1985) Papers on the Indo-European question, in *Journal of Indo-European Studies*, 13:3-48, 175-84.
- Gimbutas, M. (1985) Primary and secondary homeland of the Indo-European, *Journal of Indo-European Studies* 13:185-202.
- Greenberg, J. H., (ed.) (1966), *Universals of Language* (2nd ed.), MIT Press, Cambridge Mass.
- Greenberg, J. H., et al. (ed.) (1978), *Universals of Human Language* (4 volumes), Stanford University Press, Stanford
- Hawkins, J. A. (1983) *Word Order Universals*, Academic Press, New York.
- Hoenigswald, H. M. (1960) *Language change and linguistic reconstruction*, Chicago University Press, Chicago.
- *Hock, H. H. (1986) *Principles of historical linguistics*, Trends in Linguistics, 34. Mouton de Gruyter, Berlin, New York & Amsterdam.
- Illic-Svityc, V. M. (1971/6) *Opyt sravnenija nostraticheskix jazykov* (2 vol.), Academy of Sciences of USSR, Moscow.
- Jankowsky, K. R. (1972) *The Neogrammarians*, Mouton, The Hague.
- King, R. D. (1969) *Historical linguistics and generative grammar*, Prentice-hall, Englewood Cliffs, New Jersey.
- *Labov, W. (1982) 'Building on empirical foundations', in Lehmann, W. P., and Malkiel, Y. (eds) *Perspectives on historical linguistics*, Current Issues in Linguistic Theory, 24. Benjamins, Amsterdam & Philadelphia: 17-92.
- Lakoff, Robin, (1972) 'Another look at drift', in Stockwell and Macaulay 1972: 172-98.
- Mallory, J. P. (1989) *In search of the Indo-Europeans*, Thames and Hudson, London.
- Milroy, J. (forthcoming) *Society and Language Change*, Blackwell, Oxford.
- *Pedersen, H. (1931) *The discovery of language*. (Translation by J. W. Spargo of original Danish work of 1924.) Reprinted 1962; Indiana University Press, Bloomington.
- Renfrew, A. C. (1987) *Archaeology and Language*, Jonathan Cape, London.
- Robins, R. H. (1979) *A Short history of linguistics* (2nd ed.) Longman, London.

- Robins, R. H. (1987) 'The life and work of Sir William Jones', *Transactions of the Philological Society*, (1987): 1-23.
- Sapir, E. (1921) *Language: An Introduction to the Study of Speech*, Harcourt, Brace & World, Inc, New York.
- *Sebeok, T. A. (ed.) (1973) *Diachronic, areal and typological linguistics ...* and
- *Sebeok, T. A. (ed.) (1975) *Historiography of linguistics*, (= vols, 11 and 13 of *Current Trends in Linguistics*), Mouton, The Hague.
- Southworth, F. C. (1964) 'Family tree diagrams', *Language*. 40: 557-65.
- *Stockwell, R. P. and Macaulay, R. K. S. (eds) (1972) *Linguistic change and generative theory*, Indiana University Press, Bloomington.
- Szemerényi, O.J. L. (1985) 'Recent developments in Indo-European Linguistics', *Transactions of the Philological Society* (1985): 1-17.
- Traugott, E. C. and Romaine, S. (eds) (1985) Papers from the workshop on socio-historical linguistics (1983) - *Folia Linguistica Historica* 6 (1).
- Vennemann, T. (1975) 'An explanation of drift', in Li, C. (ed.) *Word order and word order change*, University of Texas Press, Austin: 269-305.
- Vennemann, T. (1987) *The new sound of Indo-European*, Mouton de Gruyter, Berlin & New York.
- Wang, W. S-Y. (1977) *The lexicon in phonological change*, Mouton, The Hague.

FURTHER READING

The items asterisked above (especially Bynon 1977 and Hock 1986) will give a fuller understanding of historical methods and results. Also worth considering are:

- Anttila, R. (1972) *An Introduction to historical and comparative linguistics*, Macmillan, New York. (New edn, 1988, Benjamins, Amsterdam.)
- Li, C. N. (ed.) (1977) *Mechanisms of linguistic change*, University of Texas Press, Austin,
- Palmer, L. R. (1972) *Descriptive and comparative linguistics* (esp. Part II) Faber & Faber, London.

The following volumes, edited by J. Fisiak, report on current approaches to the subject:

- (1978) *Recent developments in historical phonology*
(1980) *Historical morphology*
(1984) *Historical syntax*
(1985) *Historical semantics and historical word formation*
(1988) *Historical dialectology: Regional and Social*
(all published by Mouton de Gruyter, Berlin.)

as do the successive Proceedings of the International Conferences on Historical Linguistics (the *ICHL* Series, the more recent being published by Benjamins in Amsterdam).